

## تصدير

بهذا العدد تفتتح مجلة قصص مجلّدها الخامس والعشرين مسجلة بذلك عزمًا متواصلًا، وإرادة قويّة في التغلّب على ما يعترض طريقها من صعوبات أو معوقات، رائدًا في ذلك مواصلة السير بنفس العزيمة التي أقدمت بها على إثبات وجودها مولودًا ناشئًا، وعملًا تلقائيًا هادفًا بعيدًا عن الاحتراف والاكتساب ومن ثمة عن الاتجار.

وليس ذلك من باب التباهي والتفاخر بل هو من باب تسجيل الثبات وصدق العزيمة مواصلة لعمل نخالي في هذا المجتمع الذي استطاع بإمكانياته المحددة أن يحقق حريته وعزته لا من طريق الامتنان والهيبة، وإنما اكتسبه بالعرف الشريّف والفكر الثاقب، والساعد المتين.

وإذا قيل - في أول الأمر - : لقد سدت مجلة قصص فراغًا، وحققت رغبة ملحّة وأملًا أكيدًا فإننا نحسب أن هذا ما زال في حاجة إلى مثل هذا النوع من السجلات المختصة. وإن مثل هذا النمط لا يرتبط بظرف، ولا يكتفي بالجولة بل هو متواصل ومتصل بهذا الفيض الانساني الذي ينمو ويقوى بمقدار نمو الشعور الانساني وقوته.

وما كان ترديدا لهذا القول ومثله لتبرير ما قد يحصل من تعثر وحتى توقف في المسيرة وإنما هو للتذكير وتقوية للإيمان، وتمتينًا للعزيمة حتى تتواصل المسيرة من أجل رسالة وهدف.

وعلى هدي من هذا وذاك تواصل مجلة قصص مسيرتها، وهي مقبلة بحول الله على الرقم «المائة» من أعدادها. وهو رقم يحقق سجلا باهرا في القصة وفن القص لا في تونس فقط بل في مجال العروبة الممتد من سواحل «الخليج» الى شواطئ «المحيط». ولنا كلمة في ذلك العدد بحول الله، وإلى ملتقاه.

قصص

طويلة هي الطريق المتجهة الي  
الجبال الزرق التي تحد  
الافق.

ومنحدرة. وملتوية. ولا  
يسلكها في هذا الضمى السنّي  
امرؤ ذو بصر. ولا يحلق فوقها  
سوى عقبان متراخية الأجنحة  
تبدو غارقة في سماء بيضاء  
عفراء.

## مارية في الطريق

فالا سفلات الحامي له وهج يتلألا ويتبخر بل يسيل كذلك  
حتى يتجمع في بحيرات من الآل. والأرض صفور هامة على  
هضاب تشرف على حقول تنتظر الحراث. والفضاء ممتلئ بهيبة  
المشهد وصفير الصراصير ولهات المهرك.

كانت السيارة لا تزال ترتعد عندما نزل منها السيدس. في  
حذاء أبيض وسروال أبيض وقميص أبيض وجمّازة بيضاء. خلع  
الجمّازة عن كتفيه العريضتين وظهره الذي كان العرق يقطر منه  
ويبلّ القميص الملصق به. رمى الجمّازة فطرحها فوق سقف  
السيارة المغبر، وحلّ ربطة عنق من الحرير الأبيض.

مشى ثلاث خطوات، حدّق في الطريق وفي الحقول وفي  
الهضاب وفي الجبال البعيدة. تلهّى لحظة بإمعان النظر في رقص  
العقبان، ابتسم، تنفّس واستنشق هواء نقياً، مدّ ذراعيه أمامه ثم  
رفعهما ثم جعلهما امتدادا لكتفيه وشرع يوهم نفسه بأنّه قادر على  
الطيران بدافع الغبطة.

لكن حدث ما شدّه إلى الأرض.

التفت، أرخى ذراعيه وأدار حسمه نصف دورة ثم طأطأ رأسه راكعا شاخصا في بنت لم يدرك من أين انبعثت.

- هذه هي إذن صاحبة اليد الرقيقة التي ربتت على جنبي فشعرت بلسعة أفزعتنني حتى انكسرت لحظة غفلتي، وانهدم الحلم، ماذا تريد يا ترى ؟

قالت البنت :

- هل توصلني في سيارتك ؟

كانت تتكلم بصوت صرصري صادر من خلال أسنان مسوسة لم يكتمل نصابها وشفتين محرشتين شهباوين يسيل على عليهما مخاط لزج من أنف دقيق متورّد. كان خداهما شاحبين، وكانت عيناها دعجاوين يعلوهما ستار من الشعر الناعم الفاحم.

- أوصلك يا بنتي، ولكن إلى أين ؟

انسدل شعرها وتراعى على كتفيها، وانزلقت بعض خصلاتها فتهدّكت على مريلة صفراء تطرّز صدرها بخطوط حمراء لها شكل أحرف عربية.

- إلى أين ما مارية، قولي، أليس اسمك مارية ؟

أرسلت البنت نظرها صوب الطريق، ورفعت يدها التي كانت تحمل محفظة من القماش الأخضر الداكن، وأشارت بأصبع نحيفة إلى حيث كان الآل رجراجا، ورممت :

- إلى المدرسة !

التفت السيدس. وخزر طويلا دون أن يتبين خيال بناء، ثم وقف وأعاد النظر إلى البنت. لاحظ أنها أخذت تعضّ حراشف شفتها السفلى، أولج يده في جيب سرواله وأخرج منديلا أبيض مسح به المخاط الذي بدأ يبيس، ثم قال متلعثما :

- أي مدرسة هذي التي تذهبين إليها يا بنيتي ؟ وأنت... من أين خرجت ؟ هل يمكن أن توجد مساكن في ... هذا الخلاء ؟ أي حقيقة أنت يا صغيرة ؟

رفعت مارية رأسها وحدقت في وجه السيدس. بعينين انعكس فيهما شعاع لامع. ثم انطلقت تجري، اندعر السيدس. وبقي

واقفاً مسعراً. ناداهما فلم تتوقف ولم تلتفت. لقد ابتعدت بسرعة والوحل يتناثر من رجليها الحافيتين على اسفلت لاهب. لقد صارت بحيرة من بحيرات الال شبحاً يذوب تدريجياً.

- كيف ألحق بها ؟

جرى السيدس، واندس في سيارته اللاهثة ناسياً جمّازته فوق سطحها وانطلق بها في انزلاق سريع على الطريق مثيراً للريّح المعاكسة التي لم تظفر إلا بالجمّازة فطارتها ثم أسقطتها على إحدى الصخور الذاهلة.

- كيف ألحق بها ؟

ها هي ! ملح شبحها يتجمّع من جديد. لم يعد شبحها يجري. كانت واقفة، وبرزت مريلتها الصفراء ثم توضحت المحفظة في يدها وانجلى وجهها وبان في عينيها أنها تتوسّل إليه.

أوقف السيارة وفتح الباب الأمامي الأيمن ودعاها بنظرة، فارتمت بجانبه وجذبت من ورائها الباب وصرخت :

- تأخّرت عن الدّرس وسيطر دني المعلم الجديد.

لم يعد السيدس. في حاجة إلى ترجمة أيّ سؤال فقد تحركت به الطريق وأقبلت الحبال تعترضه. فصار محتوماً عليه أن يشقّها.

تصلّبت أصابعه على المقود وتشدّدت رجله اليمنى على المسرع وانتشى بانسحاب الحقول والهضاب يمينا وشمالا وبجريان الأرض تحته فلم ينتبه إلا حين صاحبت البنت :

- وصلت ! وصلت !

كبح اندفاعه الخارق وأوقف السيارة. جذب نظره مبنى متوازي السطوح مرمي بين الصخور في حقل يحاذي الطريق. كان مبنى أبيض أبرص، ذا باب واحد ونافذتين تطلّ منهما وجوه أطفال مبهورين.

فتحت مارية الباب وارتمت خارج السيارة وجرت حتى بلغت صخرة جلست عليها وأخرجت من محفظتها نعلين مطاطيين أسكنت بهما رجليها المعفرتين ثم نهضت وقصدت باب المبنى



والأطفال يبتسمون لها تارة وللسيارة تارة.

- هذه هي المدرسة إذن ! مبنى صغير قاعة واحدة قد تحوي تلاميذ من مستويات مختلفة ومعلم واحد هو في نفس الوقت مديرها ونزيلها في النهار وفي الليل.

انفتح باب المدرسة، ظهر المعلم، توقفت مارية أمامه مرتعدة، حياها بصفعة واحدة على خدها دعته إلى داخل القاعة المعتمة. ثم وجه نظره إلى السيدس.

قال السيدس :

- لم أدر هل كان يشكرني أم يلعنني. وعندما سألته عن أمره في تلك المدرسة الثابتة في الخلاء قال لي إنه قدم إليها منذ شهر فقط عندما بدأت السنة الدراسية الجديدة بعد أن تحصل على شهادة معلم وإنه بدأ يفقد أعصابه لكثرة المتغيبين والمتأخرين وإنه يتمنى أن تمر سيارات كثيرة كسياراتي يمنحه سائقها قدر ما منحته أنا من اهتمام وسفاير.

قال السيدس :

- وأبديت له تعجبي من تحمل التلاميذ السير في هذا الخلاء للقودم إلى المدرسة يوميا مهما كانت الطريق حامية شائكة أو باردة مستوحلة. وقلت : لماذا لا يقع تجميع مساكنهم - إن كانت - حول المدرسة وأنشاء قرية ذات مرافق مرضية ؟ فقال : إنهم أبناء عمال الأرض الموزعين في هذي الجبال، وعمال الأرض يحيون حيث الأرض وحيث العمل. فلو جمعتهم في ديار ملتفة حول بعضها، صاروا يشعشون من السير يوميا إلى الأرض وإلى العمل مهما حميت الطريق أو بردت حسب تعبيرك، وهم كثيرون رغم أنك لا تراهم والتلاميذ هم الذين - دون سواهم - يعرفون الوصول إليهم كما يعرفون الوصول إلى المدرسة.

قال السيدس :

كانت مارية تطل برأسها من إحدى النافذتين وتبتسم كأن الوجع زال من خدها. ثم رفعت يدها وهزت أصابعها. فأنشأت لها بيدي. ثم أغلقت الباب الذي تركته مارية مفتوحا وهممت بالإنطلاق عندما سمعت من يناديني باسمي. أخرجت رأسي من

النافذة ونظرت خلف السيارة فرأيت مارية ثانية قادمة إليّ من بعيد ملوَّحة بجمّازتي. فخفت أن يهزأ المعلم من غفلتي. ولم أبال بالجمّازة، وقلت : يا سيارة طيري !

وطارت السيارة فارتجّت الجبال وانذعرت العقبان ولم أتمكن من التثبيت من أمر مارية التي قال عنها المعلم : إنّها كغيرها الكثيرات يدركها التعب يوماً فلا تعود إلى المدرسة ولا تتوقّف سيارة في الطريق لكي يفاجأ ساذقتها بعريلة صفراء تترصدّها عقبان.

سمير العيادي



تتهادى كملكة غير متوجة  
تسبقها موجة من العطر  
الساحر المثير.

دخلت

حيث في ابتسام، أدارت  
رأسها هنا وهناك مستعطة  
فتمايل شعرها الذهبي الناعم  
القصير في حركة انسيابية  
رشيقة.. تنقلت بين الرفرف منتقية  
ما تحتاج إليه. ثم تقدمت من صاحب

الجب والحب

المتجر الجالس خلف الآلة الحاسبة، وطلبت منه في لطف أن  
يساعدها على اقتناء بعض الأشياء التي لم تكن في متناول يدها  
فدعا أحد عماله وأمره باحضار ما تطبه، وفي انتظار عودة العامل  
شرع في تجميع البضاعة التي معه لأجراء عملية الحساب ولم  
يمنعه ذلك من استدراجها للتداول معه حول بعض المسائل العادية  
المألوفة.

واستطاع - بنظرة الثاقبة وبحكم تجربته الطويلة مع  
النساء الفرنسيات - أن يحدد أي نوع من النساء هي قائلاً بينه  
وبين نفسه وقد بهره جمالها وأسرت أنوثتها : (لن تتعبني كثيراً  
هذه السيدة الجميلة).

كانت في منتهى الأناقة وغاية الجمال، وسألها :

- هذه هي المرة الأولى، فيما أعتقد - التي تزورين فيها  
المحل، أليس كذلك ؟

- بلى، لقد حللنا بمدينةنكم حديثاً.

- نحن سعداء باقامتكم بيننا، وأنا في خدمتك دائما، في كل ما تطلبينه وتحتاجين إليه.

- هذا لطف منك.

- إن خدمة سيدة في مثل حسنك وأناقتك ورشاقتك شرف وواجب ومتعة.

- أراك تجيد الغزل.

- ليس دائما ولا مع كل النساء.

وتتردد أصداء ضحكاتها الموسيقية العذبة في أرجاء المكان فتدغدغ حواسه ومشاعره المتحفرة. وتهمس في لهجة ذات دلالة :

- سوف نلتقي كثيرا في المستقبل، ونحدث في أشياء مهمة.

- يسعدني ذلك بالطبع.

ونقدته ثمن ما اشترته وحيتته، وانصرفت يتقدمها العامل بالسلة إلى السيارة الرابضة بالجوار سكرى الخطى تلفها موجة عطرها الساحر المثير.

ومضى يشيعها بنظراته الشرهة إلى أن توارت، إنها كالوردة جميلة رائعة من أنى نظرت إليها. وتوالت زياراتها للمتجر بعد ذلك. وتوثقت العلاقة بينها وبين صاحبه.

و ذات يوم دعته الى زيارتها في بيتها لشرب كأس معها ولزيادة التعارف بينهما.

رحب بدعوتهما شاكرا مسرورا.

- اذن موعدنا الأحد القادم الساعة الخامسة .. مرافق ؟ ..

- كما تحبين.

وفي الموعد كان يطرق الباب.

فتحت له يسبقها شذى عطرها الفواح على ثغرها ترف  
ابتسامة ناعمة جذلى.

تفضل.

- شكرا

فسحت له الطريق، أغلقت الباب، ومضت أمامه تتثنى  
وتتأود. كانت ترتدي غلالة شفافة من الحرير البنفسجي تكاد لا  
تستر شيئا من مفاتن جسدها شبه العاري.

قادت الى حجرة الاستقبال ودعته الى الجلوس قائلة :

- تفضل اجلس .. اعتبر نفسك في بيتك.

- أشكرك.

قال ذلك، وهو يتخذ مكانه على أحد المقاعد الوثيرة دون أن  
يحول نظره عنها.

قالت مجاملة :

- أنت أنيق جدا هذا اليوم، ذوقك جميل.

- أشكرك.

=- ماذا تحب أن تشرب ؟

- أي شيء

- كونيأك.

- لا بأس.

تناولت من المشرب الصغير قارورة كونيأك وكأسين  
صغيرتين ملأت له واحدة ولنفسها واحدة.

قرعت كأسها بكأسه في لطف قائلة :

- في صحة صداقتنا.

واتخذت مكانها بجواره.

أفرغ كأسه في جوفه دفعة واحدة فملأتها له من جديد وقد ازدادت به التصاقا، شعر بأنفاسها تلمح وجهه وبرائحة عطرها النفاذ تملأ أنفه موقظة فيه لواعج الرغبة.

وقرأ في عينيها دعوة صريحة ملحة فضعها اليه بقوة وانهاه على شفيتها في قبلة طويلة جائعة.

انتفضت بين ذراعيه كالمقرورة وفجأة نهضت تجره من يده الى غرفة النوم.

فكّت حزام غلالتها وتركبتها تسقط على الأرض فبدت كفينوس لحظة تجليها واشتياقها أشارت اليه بأن يتحرر من ملابسه هو أيضا، وهمست وقد تهدج صوته وارتعشت نبراته :

- تعال ... تعال الى جانبي.

وقفزت الى السرير الوثير الفخم، وسرعان ما التحما في ثورة عاصفة وقد ذهبا عن كل ما حولهما وقليلًا قليلًا هدا فيهما كل شيء وشملهما سكون ناعم لذيق، وخيل اليه أنه سمع حركة قريبة فاستوى جالسا ونظر باتجاه الباب الذي كان منفرجا قليلًا وراعه ما رأى.

والتفت اليها متسائلا وهو يضطرب فزعا، ولمّا عاود النظر صوب الباب من جديد لم يجد شيئا وهتف في حيرة وارتباك :

- لقد كان هنا اللحظة، أين اختفى ؟ ... لا .. لا لم أكن أتخيل أو أوتوهم ، ما شهادته كان حقيقة، لم يكن شبحا أو خيالا.

صاحت به :

- ماذا، اهدأ وكفك صراخا، ما رأيته كان حقيقة بالفعل، لقد شاهدت رجلا يتطلع من وراء الباب أليس كذلك ؟

- نعم .. نعم .. والغريب أنه ابتسم لي .. صدقيني !..

- إنه أنطوان زوجي

- ماذا ؟ وتقولينها بكل بساطة كأن شيئاً لم يحدث...

- الظاهر أنه شاهد كل شيء..

- بالتأكيد.

- ماذا نفعل ؟ دعيني أفر بجلدي قبل أن...

- لن يحدث شيء...

وحاول ارتداء ثيابه فمنعته من ذلك قائلة:

- قلت لك : اهدأ ولا تقلق، وسأشرح لك الأمر من البداية، لقد حدثتك ونحن بغرفة الجلوس عن نفسي مطولا، لكنني تعدت ألا أطلعك على حكايتي مع أنطوان إنها قصة مؤلمة حزينة بل قل إنها مأساة.

وتنهدت في حرقلة وتابعت تقول :

- كان صديقا لأخي وزميلا له بكلية الهندسة، ثم التعارف بيننا في السنة السابقة لتخرجه، وكثرت عاملها قد انقطعت عن الدراسة إثر فشلي في امتحان البكالوريا.

أحببته وأحببني، واتفقنا على الزواج، وبعد أن تخرج والتحق بالعمل بإحدى المؤسسات الصناعية تزوجنا وأقمنا بالعاصمة باريس.

ومر عام على زواجنا، كان كله حب وسعادة ومسرة. ثم دعي إلى الخدمة العسكرية بفيتنام حيث كان جنودنا يخوضون حربا رهيبة هناك.

ألمني فراقه وأحزنني كثيرا، ولم يكن بيدي شيء أفعله غير الصبر والانتظار.

كان يكتب إلي بصورة منتظمة، بمعدل رسالة كل أسبوع، يعرفني بأحواله وبالنظروف الصعبة القاسية التي يمر بها ورفاقه،

وبما يلقونه من مشاق وأهوال بتلك البلاد القضية النائية. وصرت لا أفكر إلا في أن يخطفه الموت مني في تلك الحرب الملعونة. وفي غرة قلقي وخوفي عليه احتجبت رسائله عني فجأة على غير انتظار ودون سابق إنذار. ومر شهر واثنان لكن دون جدوى، وتملكتني حالة من التشاؤم واليأس، وأخيرا ذهبت الى وزارة الحربية للسؤال عنه، وبعد البحث والتقصي قالوا لي : إنهم لا يعلمون عنه شيئا، وأن اسمه غير مثبت بقوائم الموتى والمفقودين.

ويعاودني الأمل من جديد في أن يرجع إليّ سالما ذات يوم. وفي أحد الأيام اتصل بي بعض رجال الشرطة العسكرية وأخبروني بأن أنطوان مقيم بالمستشفى العسكري وهو يطلب رؤيتي ،وسألتهم إن كانوا يعرفون شيئا من حالته فأجابوني بالنفي. وسلموني بطاقة تخول لي دخول المستشفى في أي وقت.

ورغم فرحي ببقائه على قيد الحياة فقد تملكنتني حالة من الاضطراب والهلع مما قد يكون حل به. تناولت مهدئا وأصلحت من شائي على عجل وأسرعيت بإذهاب الى المستشفى.

أقام أنطوان بالمستشفى فترة من الزمن بذل الأطباء خلالها كل ما في وسعهم من أجل إنقاذه وتمكنوا من معالجة إصابته رغم خطورتها لكنهم فشلوا في معالجة الآثار المترتبة عنها.

كان يشكور من إصابة حادة بعموده الفقري أورثته قصورا جنسيا مزمنا.

ولمّا علم بالحقيقة كاد المسكين يفقد رشده وصوابه.

وعدت به الى البيت ومنحوه إجازة طويلة، وظللت الى جانبه أرعاه وأخفّ عنه، ولمّا انتهت الإجازة خيروه بين البقاء بفرنسا أو السفر الى شمال افريقيا فاخترار السفر الى بلادكم.

كان ذلك منذ ثلاث سنوات مضت قضيناها ببعض مدن الشمال.

شعر أنطوان بالملل من الإقامة بتلك الربوع وعبر لي عن



رغبته في الانتقال الى الجنوب، وكان دائما يتطلع الى التعرف على الصحراء، والى العيش قريبا منها، فلم أر مانعا، وهكذا قدمنا الى مدينتكم الهادئة الجميلة.

لقد تغير أنطوان كثيرا عن ذي قبل، صار أنطوانيا، منغلقا على نفسه، ميالا الى الصمت، كثير التبرّم رغم كل ما كنت أبذل في سبيل راحته ورضاه، إني أحبه كما تعلم وقد تضاعف حبي له بعد الذي حلّ به.

في أحد الأيام طلبي منّي أن ننفصل فهو لم يعد يصلح لي زوجا، ومن الظلم أن أسجن نفسي معه مدى الحياة، وأحرم من مباحج الدنيا وملذاتها من أجله.

ثرت في وجهه، صددته في عنف وحذّرت من العودة إلى الحديث في ذلك الأمر مرة أخرى. لن أخذله وأتخلّى عنه في محنته مهما حدث.

كنّا نتعذّب معا في صمت، وكان منا يحاول جهده إخفاء ما يكابده عن رفيقه، وأكثر من مرة فأجأته وهو ينتحب في خلوته كالطفل الصغير فكنت أرتمي على صدره ونشترك معا في النحيب.

ذات ليلة قال لي، ونحن نسهر بحجرة الاستقبال نضفي إلى السمفونية التاسعة لبتهوفن التي كان يحب سماعها كثيرا وخاصة حين يكون متوتر الأعصاب أو يصدد الاقدام على أمر مهم :

- تعلمين يا عزيزتي مارغريت كم أكن لك من الحب والودّ، ولكن أرى من غير المعقول أن أكون أحبّك وأقسو عليك في نفس الوقت، لذلك بدا لي من المستحيل أن تستمر الأمور بيننا على النسق الذي هي عليه الآن، وفكرت ملياً فلم أجد أمامي من سبيل في نهاية المطاف لانتهاء هذا الوضع سوى القبول بأحد حلّين لا ثالث لهما، أحلاهما مر كما يقال، أمّا الطلاق...

- لا نتحدث عن الطلاق فقد سبق أن أوضحت لك موقفني من هذه المسألة فلا تحاول العودة إلى إثارتها من جديد.

إنني راضية بحياتي معك وبما قسم لي.

- لا أنكر أنني بحاجة اليك الآن أكثر من أي وقت مضى،  
وبعدك عني يعني نهايتي ومع ذلك صرت مقتنعا بأنه لم يعد  
بالامكان تحت أي ظرف أو مبرر أن تستمر علاقتنا على ما هي  
عليه في الوقت الراهن، أنت جميلة وما تزالين في شرخ الشباب،  
ومن حقك أن تنعمي بحياتك ككل النساء اللاتي في مثقل سنك  
وجمالك، خاصة أنني لم أعد ذلك الزوج الذي بإمكانه أن يسعدك  
ويملاً عليك حياتك ويحقق لك رغباتك الطبيعية المشروعة، ومهما  
كنت أحبك وأريد الاحتفاظ بك فلم أسمح لنفسني ولن أغفر لها  
أبداً أن أرى ذلك الحب يتحوّل الى أنانية بشعة كريهة ونزعة  
وحشية للتملك. وما دمت تصرّين على العيش معي فلم يبق أمامنا  
في هذه الحالة إلاّ الحل الثاني والأخير.

- وما هو ؟

- أن تتخيري لك صديقاً تتراحين اليه وتثقين به تخفف  
عنك صحبته بعض ما تغانين بين جدران هذا البيت الكئيب من  
إحساس قاتل بالوحدة والضيق.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

- ماذا تقول ؟

- هو ما سمعت

- تعني أن اتخذ لي عشيقاً ؟

- أن تفعلي ذلك بعلمي وموافقتي أفضل ألف مرة من أن  
تقدمي على فعله من ورائي، وهو ما سيحدث بالتأكيد في يوم من  
الأيام مهما حاولت الهرب والمقاومة./

ويلفنا صمت مؤلم ثقيل ، ويعمرنا جو من الكآبة والحزن.

كان كلامه منطقياً ومعقولا رغم ما يثيره في النفس من  
إحساس بالمرارة. وتنتهي السهرة ويتوقف بنا الكلام عند ذلك  
الحد.

وتمر بنا الأيام، وذات يوم سألتني وقد لاحظ انشراحي واقبالني على الحياة ان كنت عثرت على الرجل المناسب ؟ فاكثفت بالابتسام، وفهم الجواب و أبدى ترحيبه بذلك وزاد فقال : إنك من باب حرصه على سلامتي، وحفاظا على سرية تلك العلاقة فإنه يرى من الأفضل أن يحضر عشيقتي إلى البيت بدلا من أن ألتقي به خارجا قطعاً لالسنة الفضوليين والمتطفلين اقتنعت بوجهة نظره ورأيت فيها حلاً لاشكاليات كثيرة نحن في غنى عنها. وهكذا حدث، وكان انطوان يلزم حجرة المكتب أثناء تلك الزيارات محاولاً شغل نفسه بالمطالعة ريثما يغادر من معي البيت، وكان لا يهتم بمسألة الزمن الذي يمكن أن تستغرقه تلك الزيارات أو الخلوات بمعنى أصح، وكان يحرص على معرفة كل شيء عن الأشخاص الذين كانت لي معهم علاقات، كما كان يطلب مني أن أروي له كل ما كان يحدث بيني وبينهم أثناء لقاءاتي بهم وما من شك في أنه كان يجد في ذلك تعويضا ولذة ومتعة وقد تبين ذلك في عينيه وقسمات وجهه وحركاته، وفي يوم عبر لي عن رغبته في أن أمكنه من متابعة ما يجري في تلك الخلوات بالسماح له بالتطلع من فجوة الباب.

لم أفاجا بطلبه ولم أستغرب خاصة بعد كل الذي حدث، وان كنت استهجنته بيني وبين نفسي وأحسست بالشفقة عليه والراء له، ولم أحاول أن أخرب تلك المتعة. واتفقنا على تثبيت جهاز تنبيه كهربائي يصل حجرة النوم بحجرة المكتب حيث يكون بالانتظار وفي اللحظة المناسبة أضغط على الزر فيأتي ويتخذ مكانه خلف باب الحجرة الذي يفترض أن أتركه مواريا، ويتابع ما كن يجري.

وعند انتهاء كل شيء ينسحب في سكون عاندا من حيث أتى دون أن يشير أي انتباه، وأنت الوحيد الذي شاهده واكتشف أمره. وسكنت قليلا ثم استطردت تقول :

- أظن أن قلقك قد زال الآن بعد الذي قصصته عليك ؟  
- نعم، ولكن ما سمعته أُلني كثيرا.  
- يهمني أن تعرف في النهاية بأني لست مومسا ولا انطوان قوَّادا كما قد تعتقد ولكننا من أولائك الذين طحنتهم الحرب ودمرت حياتهم وأتت على كل شيء جميل فيها وشوّهت حتى الحب.

- وما أكثر ضحايا الحرب في هذه الدنيا....

محمد الضموسي الحناشي

كانت

تتصفح صحيفة أسبوعية  
عندما عاد الطبيب وراء  
مكتبه مرتبكا لا يعرف  
كيف يبدأ كلامه، وقد لاحظت سيدي  
منه ذلك فرفعت اليه بصرها قائلة:

- لا تجزع فأنا لا أهتم

- ماذا تقصدين

- أن كنت أصبت بالسيدا أو

«السيدا»

لم أصب فذلك سيان عندي  
كيف... فإما أنك لا تعرفين مرض السيدا على حقيقته  
وخطورته وإما أنت مجنونة <http://Archivebeta.S>

- اطمنن فأنا راجحة العقل وأعلم جيدا خطورة هذا المرض

- اذن فما تفسيرك للامبالاة به ؟

- ذلك أمر يطول شرحه الآن، المهم في الوقت الحاضر هل  
فعلا أنني أصبت بذلك الفيروس الخبيث

- نعم وللأسف.

- لا تأسف ان لم أصب به الآن، فسينال مني قريبا، فأنا من  
رواد حدائقه.

وهي تنزل المدارج، كانت على اقتناع بأنها مقبلة على مرحلة  
جديدة في حياتها تختلف عما سبق.

تعرفت عليه وسحراها شبابه وفتوته، وانجذب هو إلى  
أنوثتها وجمالها الصارخين وخطأ حكاية عشق كانت حديث الأقارب  
والمعارف.

أحبته بكامل جوارحها ولم تبلغ الثامنة عشرة بعد، فكان لها سريان الدم في العروق، وخفقان القلب، وتردد الأنفاس.

رأت فيه فارس الأحلام، فما عادت تحلم بغيره، ووهبت كل ما لديها من فتنة وجمال وأنوثة، ولم تبخل عليه بشيء، وهي تعني النفس بزواج يكون تاجاً لسنوات العشق. كانت من الصنف غير العادي، التي إذا أحببت أخلصت وقدمت أثمن شيء لديها دون أن تخالجه الريبة، فانتشأوا يطغى على كل تفكير، وتطرب جوارحها وترقص أطرافها ثملة.

تحدث معارضات عائلتها ونصائح بعض الذين تحسسوا نفسيته، وعرفوا كوامنها، وترجموا حقيقتها، وعددوا لها تنكره لبعض اللواتي عرفهن قلبها، ثم رماهن كما ترمى النواة، وإذا ألحوا في التحذير حاجتهم بجمالها الساحر الذي شد حبيبها، ولن يقدر على التخلص منه لتمكنه منه حتى أعمى بصيرته، فما عاد يرى غيرها، مشهده المفضل محياها القمري، وزرقة عينيها، أما نغمة فصولها الرخيم الشجي، بينما طاقته أنفاسها اللاهثة.

كان من عائلة عريقة استطاعت أن تحافظ على ماء الوجه مسخرة كامل طاقتها لتعليم ابنها، فكان ما أرادت، موظفا ساميا بأحد البنوك.

هي الابنة الوحيدة لبائع غلال، حباها بعطفه المبالغ فيه، مانحا إيها حرية مطلقة في التصرف، حتى إذا ما رغبت في الانقطاع عن التعليم الثانوي قبل مرحلته الأخيرة بسنة لم يمانع. وقد حاولت الأم الضغط على زوجها بكبح جماح البنت لكنها أخفقت، حتى إذا ما شاعت أخبار علاقة البنت بأحد الشبان لم يكثر الأب، وهو يعني النفس بزواج سعيد يجمع بينهما، وخاصة بعدما أيقن أن هذا الشاب من عائلة محترمة، بينما الأم كانت مذبذبة بين تخاذل الأب وسطوة البنت التي تحدث تحذيراتها، وهددت بترك البيت إن لم تترك لها حرية التصرف إلى حين إعلان الزواج.

واصلت نجوى علاقتها بفارسها على أمل أنه لم يخلق إلا لها

ولم يحسن الخالق صورتها إلا من أجله، وإذا لمحت له بين الحين والآخر عن موضوع الزواج كان يراوغ ويماطل. ويحدثها عقلها وهي منفردة بنفسها بأن الأعداء واهية. لكن خفقات قلبها سرعان ما تكسب وسوسة عقلها، وتطمس كل خوف فيها وحتى إذا ما التقت ثانية به، نسيت كل شيء غير سار، «كانما يمتلك إرادتها. وهي تنتشي بلفائه، تخفت كل نواقيس العالم الخارجي، فلا تعي إلا ما يدور بفلكه، وإذا بها مشدودة إليه كأحد أقماره. كان سلطانه عليها قويا يشل قيادها فتلبى رغباته دون تردد.

واختفى الحبيب فجأة فلم تكثر في البداية، وعدته أمرا طبيعيا، وقبل أن يدب فيها الخوف وسوس لها بأن سيد كيائها قد سافر وزوجته لقضاء أسبوع عسل بأحد النزل البحرية ولم تكن متهيئة لمثل هذا النبأ، فتهاوت في مكانها مغنى عليها.

وهي تعي ما حولها بعد الانتهاء استحالت لديها كل أنوار الدنيا إلى ظلام حالك السواد، ونظرت إلى جسدها فلم تر فيه ما يمكن حفظه من التلف، وقد اقتطف منه الحبيب تاجه.

تجنبت اللقاء به ما استطاعت، بينما كانت تعجب من قلبها الذي بقي وفيًا لهذا الحبيب ولم يتأثر بما أفوز به العقل من غضب وحقد وأسى وخيبة، ووقع ما كانت تحتاط منه، فما إن التقت به وأشار إليها حتى كانت بين أحضانه، وبكى يومها بين ذراعيها معذرا بأنه لم يعرف كيف جرّ إلى هذا الزواج. ولم يعرب عن نية الندم والعود إليها، ولم تطلب منه هي هجر زوجته من أجلها، وتواصلت لقاءاتهما سرا إلى أن طلب منها يوما القطيعة، ويومها فقط كان المنعرج الحاسم في حياتها فسقطت بين أحضان أول راغب وجرت رويدا رويدا في هذا السقوط لا من أجل لذة الجنس ولكن انتقاما من هذا الجسد الذي أعطى الكثير دون تنويع.

لما ذاع صيتها في أوساط البغايا والمنحرفين وطالبي اللذة لفتنتها غير المألوفة، فكرت في الهجرة إلى باريس وتم لها ذلك سريعا.

لم يمض وقت طويل على استقرارها بعاصمة النور، عندما

طرق باب شقتها حبيب الأمس ليقضي معها بضعة أيام يبثها أشواقه، واعتاد كلما حلّ بباريس الإقامة لديها. وتتفرغ نجوى أثناءها لتلبية كامل طلباته، حتى هدايا زوجته تختارها بنفسها.

في هذه المرحلة من حياتها أطلق عليها أصدقائها وصديقاتها اسم «سيداء» لا لأنها مصابة بهذا المرض، أو لخبث فيها، بل لغرابية تصرفاتها وأفكارها، فهي ذات عقل راجع وقلب أرق من نفحة النسيم، لكن جسدها جسد عاهرة، تفرشه لأي كان وفي أي مكان، وكأنها لا سلطان للعقل والقلب عليه. فهي ليست حريصة على جمع المال، بل تكتفي بما تحتاجه لا غير، لذلك لا تطلب من حرفائها المقدار المعين وتترك لهم حرية التقدير، وإذا ما حاول بعضهم اغتنام هذه الطيبة الغريبة لافتكاك مالها ومصوغها لا تبدي مقاومة ويتم ذلك منها ببرود عجيب وكان الأمر لا يعنيها.

قضت خمس سنوات على هذه الحال، تعيش ليومها لا غير.

وقد تدور الأحاديث بين الأصدقاء والصديقات عن داء السيداء وغيرها من الأمراض التي تصيب متعاطي الجنس فترتد فرائض البعض، أما نجوى فما يظهر عليها هذا الوبع وكان الأمر لا يعنيها، وإذا سئلت عن هذا البرود أجابت في غرابة تذهل السامعين :

«إن غاية هذه العلل التمكن من الجسد، وله ذلك، فلن يكون له أي انعكاس على روحي ... إن جسدي صندوق قمامة، قد يتلف بين الحين والآخر، أما روحي فهي الهواء الذي يلج هذا الصندوق ويغادره دون أن يصيبه شيء مما بالصندوق، هذا هو إحساسي صدقوني، اني غير ابهة بما يصيب هذا الجسد من تلف، أما روحي فهي طيف يرفرف عاليا وظله فقط على الأرض ومن ذا الذي يأبه أين يكون ظله، على سجاد فاخر أو على كومة نفايات.»

في أول جلسة لها مع أصدقائها وصديقاتها بعد معرفة نتيجة التحاليل التي قامت بها، ذكرت لهم ببرود عجيب أنها قد أصيبت بمرض السيداء.

توقفت أنفاس الجميع وسادهم الوجوم وتسمرت أعينهم

فيها وانحبس اللعاب في الحلق، وقبل أن يعلق أحدهم برأي تعلم فحواء مسبقا، قالت وشبه ابتسامة قد رسمت على شفتيها :

- لا عليكم، إن كنت لا أكثرث بهذا الجسد فسأعمل على مساعدته للبقاء أطول مدة ممكنة.

ونطق أحدهم أخيرا وهو يتقد من الغيظ :

- لا أصدق ما أسمع، من قبل كنت أعتقد أن لا مبالاة لك مفتعلة أما الآن وقد تحقق صدقك فأنا أرجح أنك غير عادية، إذا لم أقل مجنونة.

وقالت وهي لا تزال محافظة على ابتسامتها :

- فعلا لست عادية، وهذا ما خفف عني العذاب، فجسدي ليس مني، فهو يمثل الصنم الذي يسكنه الجن، وهل يضر الجن شيئا إن عبد الصنم أو أهمل.

وقال آخر :

- وما يدرينا أنك فعلا قد أصبت بعدوى السيدا ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قالت وهي تنصّب واقفة :

- من يشك في كلامي فليؤنس وحدتي في شقتي ليتحقق بنفسه.

لم تمض أيام عدة حتى حلّ حبيب الأمس، فعجبت من الأمر حيث لم يعض على زيارته لمدينة النور غير شهرين، بينما كان لا يزورها الا مرة في السنة.

كان متجهما وميالا الى الصمت في غير عادته، وفهمت أنه يمر بفترة صعبة تجهل كنهها، ولما استفسرته عن سبب سرعة عودته نظر اليها بطرفي عينيّه وقال لها :

- هل أنت مريضة سيّدا ؟

- وما الذي دفعك الى هذا السؤال ؟



وبانفعال شديد أجاب :

- أجيبني أولا.

- هذا جسد مصاب بفيروس السيدا ولست أنا...

- فلسفة عقيمة، ما يهمني لماذا لم تقولي أن جسدك أصيب بهذا الفيروس الخبيث.

- وما يعنيك من جسدي وما اكرثت أنا به.

- لأن جسدك هذا قد أوقعني وأصابني بعدوى علته.

وساد الاثنان صمت رهيب، وتسمرت في مجلسها وهي تحلق في نقطة وهمية بمحياه دون أن تتعاقب جفونها، وهي تتلقى الخبر أحست كأن البناية تزلزل بها. كانت ترى فيه سيد روحها، حتى وجسده ملك لغيرها. لم تتمالك نفسها فارتمت عليه باكية تلهج باسمه في حرقة. ولم يبد الحبيب حراكا كان مصعوقا من يوم معرفة الحقيقة. وقالت وهي تتحسس جسده :

- أفديك بنفسي يا حبيب الروح، لم أعرف حقيقة مصابي إلا منذ أيام قليلة.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهو يربت على كتفها براحته قال لها برفق :

- رغم الغراق فيها نحن نلتقي.

وكأنها كانت تنتظر من يحرك كوامنها فانتفضت من بين يديه قائلة :

- أبدا ما ابتعدت عني لحظة، كنت قرين روحي على الدوام، أما هذا الجسد فقد مات من يوم زواجك من غيري، ما أحسست من يومها أنه لي، لذلك كان لي نكرة، فلا هو متصل بي ولا الأجساد التي يعانقها، من يوم زواجك ما نعمت بلذة الجنس لا منك ولا من غيرك، خيانتك لي قطعت حبل الاتصال بين روحي وجسدي، فكان ما كان، روحي سامية عالية مرفرفة لا تنزل الى أدان القذارة، أما هذا الجسد فقد بات كوعاء تلعه الكلاب، وهل يعارض الوعاء

لعق الكلاب أو يبدي انتشاء، لم أسالك ولو مرة واحدة عن خديعتك لي بعدما قطفت تاج عفتي، كما أنك لم تقنعني بفعلتك. لا تقل: إني كنت هشة سريعة السقوط، فالذي كان بي يهد الجبال، كنت أمالي وأماني ونبضي وأنفاسي، كنت شيئاً مني وكأني ما خلقت إلا من أجلك وما خلقت إلا من أجلي، لكنك تمردت...

وهي تلفظ ما كتعته السنوات كان نهشا ينخر داخله ولم يطلق هذا السيل من العتاب فصرخ فيها :

- اسكتي.. اسكتي إن ما بك ليس بعتاب بل هو نعي معيت.

- ان كلماتي التي أفزعتك وأرهبتك لن تستطيع أن تترجم مصابي، فانت لم تسقطني في العهارة فقط، أنت شطرت كياني إلى نصفين، كانا متكاملين، فتنكرت روحي لجسدي وافقدت جسدي حتى اللذة الحرام الرخيصة، أنت لن تستطيع أن تتصور الانهيار والشلل وهما يتمكنان مني فيعدمان في كل إرادة، فإذا أنا مجرد جيفة تعبت بي الكلاب الضالة.

- جررت نفسك إلى الهاوية رغم أن فرص النجاة كانت كثيرة..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>  
فأجابته، وقد رسمت على وجهها شقاء السنين :

- ليس الذي يده في الماء كمن يده في النار، بعدما عرف كل الناس بعلاقتي بك وبعدها طردت من عالم العذارى وما أصبت به من خيبة أفقدتني الثقة في كل شيء، وما زاد في شقائي أن روحي وجسدي قد فقدوا حبل اتصالهما...

وقال وهو لا يكاد يصدق ما يسمع :

- أقرفتني بهذه الأصله، وما سمعت في حياتي أن كائنا يتنكر لجسده.. فلا تعيدي على مسمعي هذه الحكاية فاني غير مستعد لتصديقها.

- وإذا قدمت لك البرهان على حقيقة ما أقول.

- كيف ذلك ١٩

- عندما أحتفل بك مع الأصدقاء كالعادة الليلة ستري وسيرون أنني جادة فيما أقول.

اتصلت هاتفيا بأصدقائنا وغادرت الشقة لبعض الوقت لتعود وبعض الصديقات وهن محملات بما يلزم السهرة من مأكول ومشروبات غازية وكحولية ومرطبات. كانت سيدا تنتقل بين المطبخ وباقى شقق الغرفة وبالأخص قاعة الجلوس حيث حبيب الأمس وبعض اللذين التحقوا به، وهي في غير عاداتها وقد ظهر عليها الحزن والارتباك والذبذبة.

بعد أن انتهوا من تناول العشاء لم يخف على الجميع حالة سيدا اللاطبيعية، وقال أحدهم موجهها كلامه مباشرة إليها :

- ما الذي غير نجوى هل عادت الاتصالات بين روحها وجسدها فأحسست بما ينخر هذا القوام ١٩

فأجابت وقد استحسنيت فتح هذا الموضوع :

- أبدا روحي في واد وجسدي في واد آخر.

<http://Archivebeta.Sakhrnt.com>

فقال إحدى الصديقات وهي ترمق نجوى بنظرة عطف :

- بحياتي ما سمعت بهذه الحالة،

وقال آخر :

- أريد أن أسأل، هل لو مزق شرايينك أحد فتنزفي بقوة، هلا تخافين ما سيتسبب فيه هذا النزيف.

وكانت إجابة نجوى سريعة وحاسمة :

- أبدا لا يعتريني أي خوف سوى آلام شبيهة بعملية الحقن...

- غريب أمرك، تشبهين النزيف القاتل بعملية الحقن العلاجية.

- كلاهما سواء عندي

- لكن بهمود جسدك تفقددين وجودك على هذه الأرض، وهذه الروح وقد فقدت هيكلها فمالها شأن...

- أبدا.. إن روحي عالية متعالية وبانسلاخها من هذا الجسد الذي يكبل حركتها ستعرف حرة لتصبح خالدة وغير مقيدة لا بمكان ولا بزمان.

ونطق أخيرا حبيب الأمس قائلا :

- وهم لا أعلم كيف عشت في رأسك، ولا أظنك إلا متلاعبا بعقولنا.

قالت وهي تنتصب واقفة بينهم :

- أنا مستعدة بأن أخوض التجربة التي تثبت صحة كلامي والتي تختارونها أنتم.

والتفت كل الجالسين اليها حيارى. ولما طال صمتهم اتجهت إلى النافذة وفتحتها وقالت من جديد :

- من يقدر أن يرهى نفسه من الطابق السادس 19

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

ولما لم تسعف بالاجابة أردفت :

- طبعاً لن تفعلوا لأن أرواحكم وأجسادكم في انسجام ووثاق، أما أنا فكل منهما متنكر للثاني، ولكي أبرهن لكم صحة أقوالي فلا بد من هذه التجربة لأنها الوحيدة التي ستقنعكم.

وقبل أن يتفطن الجميع إلى خطورة ما تقدم عليه كانت سيدا تقفز من النافذة.

الناصر التومي

المؤلف : سارقي مافومات (٥)

تعريب : أحمد مفر

## الاثنين

الثالث والعشرون من  
شهر فيفري سنة ألف  
وتسعمائة واحد وثمانون.  
اليوم يتم بالكرملين افتتاح المؤتمر  
الرابع والعشرين للحزب الشيوعي  
للاتحاد السوفياتي.

كنت جالسا وصديقي «أوسا»  
في صباح هذا الاثنين بردهة عطفة  
سلم النجدة للمؤسسة التي نعمل

## الصديق «كوم»

بها وقد سيطرت رائحة التبغ على المكان. كان «أوسا» زميلي منذ  
فترة الدراسة. جلسنا نمتع نظرننا بمشهد البناءات الصناعية  
المعتدة أمامنا من خلال النافذة التي تفتح عليها. وكنا نحرق  
السفارة وراء السفارة. سألني «أوسا» على حين غرة :

- ألا ترى الحياة قد فقدت اليوم معناها ؟...
- وأنت ماذا ترى ؟
- أنا متأكد من ذلك (ورافقت جوابه ذاك ابتسامة عريضة)
- قد يكون ذلك !... قد يكون ! (لم أكن أرغب في الدخول معه  
في نقاش).
- ولا يحرك فيك هذا أي شيء ؟...

كانت سحنته قد ازدادت تجهما، وبقي يتطلع الي في  
اهتمام. أخذت كل وقتي لكي أطفئ سيجارتي على حافة النافذة ثم  
لكي ألقى بها في المنفضة الموضوعة عند عطفة السلم. كانت  
المنفضة من الزنك الابيض المنقط بالرماد قبل أن أجيبه بأن

السؤال لم يخطر على بالي من قبل. تساءل ملحا :

- كيف لم يخطر على بالك ؟ ... حسنا !.. أرى أنك غير مهتم بالموضوع !.. هذا أقرب الى عادتك !

- لماذا يكون هذا أقرب الى عادتي ؟...

- لانك تبدي دائما الكثير من التفاؤل.

- كيف ؟ .. أنا أبدي الكثير من التفاؤل ؟

- ألا تصدقني ؟ .. اني أعرفك جيدا منذ كنا زميلي دراسة، ومن واجبي أن أقول لك أن هذا التفاؤل الطاغي عليك حالة ذهنية غالبا ما غيبت نفسك فيها.

علقت على كلامه متهربا من الدخول معه في نقاش :

- قد يكون !.. قد يكون !..

أنا أيضا كنت أعرف صديقي جيدا، لكنه واصل غرس مساميره في أعماقي :

- هكذا اذن !.. من المؤسف أن لا تنظر الى نفسك بعيون الآخرين ... لو حاولت ذلك الغيوت أفكارك <http://>

- قد يكون !..

وتساءل بعد ان بقي برهة ساهما :

- هل يمكن أن أقول لك شيئا ؟...

- قل !..

- أنبئك، سيكون كلامي قاسيا !..

- هيا افرش بضاعتك !

- على شرط ان لا تغضب مني !.. على كل فان احدا سواي لن يقول لك ذلك !

- أنا أقدر موقفك تمام التقدير ايها الشيخ ...

- على شرط أن لا تتعقد الامور بعد ذلك ؟

ولكي لا تتعقد الامور ذهب الى حد وضع يده على كتفي.

تنهدت، ثم بعد فترة سكوت ثقيل قال معاتباً :

- بدأ الانحلال يتسرب اليك في المدة الأخيرة ..! هذا ما أردت أن أقوله لك.

حيرتني كلماته تلك، وبدأ انه قد لاحظ ذلك، فواصل بسرعة :

- نعم ... نعم لقد انحلت كثيرا ! ألم تلاحظ ذلك ؟ .. تبدو أحيانا كما لو أنك فقدت مشاعرك وأصبحت ضيق التفكير.

- أنت أيضا تبدو ضيق التفكير !

- لا أريدك أن تغضب ! لقد حذرتك أن كلماتي ستكون قاسية...

- هذا ما عندك ؟

- الى حد الآن على الأقل، هذا ما عندي !

قال ذلك في لهجة ساخرة لأنه كان يعتقد أن رد فعلي لن يقف عند ذلك الحد، لكنني تشاغللت بتفحص تلك الخريشات ذات العبارات الجنسية المفضوحة التي زين بها بعض الزملاء حافة النافذة. تابع «أوسا» كلامه بعد زفرة من أعماقي كشفت عما في صمتي من معنى  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- هذا لا يستغرب من شخص مثلك يأتي يوميا الى هذا الحجر ويتنفس هذا الهواء الموبؤ ... وفي النهاية فأنا أقول لك أنك قد أصبحت مثل الآخرين لا تطاق !

- لان الآخرين حسب رايك كلهم لا يطاقون ؟ ..

- وأنت - حسب رأيك - ألا تراهم كذلك ؟ .. الكل بلا استثناء بما فيهم «إيميلي» و «سيدور» و «أولقا الصغيرة»، أما الذي لا يطاق أكثر من الجميع فهو «الفوهرر» فقد يكون هذا الرجل - حسب وجهة نظرك أنت - طيبا ... ؟

- هو في الجملة لا يطاق !

بدأ لي الحكم مقبولا لا شطط فيه فالفوهرر هو رئيس مخبرنا، ورغم أن علاقتي به كانت في جملتها طيبة الا أنه كان

ينظر الى «أوسا» بكثير من التفحص بحثا عن نقاط الاختلال عنده نظرا لما كان يبدو على زميلي من حساسية واضحة.

- الآخرون أيضا ليسوا أفضل كمنه !
- هم أناس عاديون !
- هذا نفس ما قلته أنا أيضا من قبل.
- وترى في ذلك دافعا لاحتقارهم ؟ ..
- وأنت هل ترى أنه يجب أن أبدي اعجابي بهذه المخلوقات التافهة ؟ ..

أنا لا أرى في هذا المكان مخلوقا جديرا بالاعجاب، وعلى وجه الخصوص أنت .. ولا يهمني ان كان هذا يفضبك أم يرضيك.

توجّهت الى «أوسا» متسائلا في تعجب :

- لست أدري أي بعوضة قرصتك ؟ ...

أجاب مغمما :

- كفى ..! لقد طُفح الكيل ...!
- لما لا تقذف بكل هذا في وجوههم دفعة واحدة ؟ (بدت لي تلك أفضل نصيحة أقدمها اليه) <http://Archivebe>

قذف صديقي ببصقة في اتجاه المنفضة المنيكة(\*) لكنه أخطأها. توجّهت اليه متسائلا :

- ما رأيك لو عدنا قليلا الى العمل ؟

أجاب ساخرا :

- هيا أركض ..! لكي تقتل نفسك بالعمل ...!

هزّزت كتفي لكي اعرب له عن عدم مبالأتي وحيرتي. سألتني في تهجم :

- ألا يخيل لك أنه لن يحدث جديد في حياتنا ؟ ان «مجتمع الزم حدودك» هذا يبعث في القرف.

(\*) منيكة : ملعة بالنّيكل



- وماذا يمكن للانسان أن يفعل ؟ ...

- وأنت ... أليس عندك مشروع ما ؟ ..

- شئنا أم أبينا فان تحمل هذه السنوات الثلاثة في هذا المخبر شر لا بد منه. أنت تدرك جيدا أن القانون يفرض ذلك ... الآن وقد مضت ثمانية عشر شهرا لم يبق الا نصف المدة ثم نرى بعد ذلك كيف ستتهيا الأمور.

- لقد قلت من قبل أن والد زوجتك قد عرض عليك شيئا ما في مؤسسته ؟

- لم يكن عرضا واضحا بأنم معنى الكلمة فهو عادة ما يطرح مثل هذه المواضيع عندما نكون على مائدة الطعام وعندها يشرع في عرض مفاهيم عامة ثم يلمح بعد ذلك الى أنه اذا ما كانت سيرتي مرضية فانه قد يكون مستعدا للتدخل لقائديتي.

- وأنت ماذا تعتقد ؟

- سنرى ذلك في ما بعد ..! أمامي الآن ثمانية عشر شهرا أخرى !

- ثمانية عشر شهرا أخرى يضطر الانسان الى ان يعيشها هكذا ..!

- وماذا في ذلك ؟ .. دعني أقول لك بصراحة ان الانسان هنا غير معرض للانكسار كما قد تكون تعتقد ذلك !

- لقد قلت لك من قبل أن الانحلال قد أصابك، فأنت غير حساس تماما لكل هذه المحظورات التي تغلنا وزيادة على ذلك فأنت تتحملها في خنوع ... لقد طغى عليك الخنوع فأنت لا ترغب في تغيير أي شيء في حياتك لأنك غير قادر على ذلك ... هكذا تبدو كل الطرق مسدودة.

- ماذا تريدني أن أغير ؟ ... (كان في صوته الكثير من الحدة)

- ألا ترى ضرورة التغيير ؟ ... حسنا لنترك مجال العمل جانبا ..! هل تعتقد أنك قد نجحت في حياتك الخاصة ؟ لتكن نزيها

وأجيني بصراحة ... فكما قلت فأننا ايضا اعرفك جيدا كما أنك تعرفني تماما. ولا أظن أنك ستغالطني.

شعرت بضرورة أن أراجع. سألته :

- هل يمكن أن تقول لي في النهاية ماذا تريد ؟

- ماذا أريد ؟... لا شيء ..! يمكنني أن أصمت تماما ان اقتضى الامر ذلك كما يمكن أن أعتذر لك ان كنت قد جرحت مشاعرك، وفي الواقع فأننا متأسف لما حدث لأنني كنت البادئ ولكن يبدو أن كل هذا لا فائدة ترجى منه لاني اكتشفت انك شخص وصل الى درجة كبيرة من التدهور لكي تفضل وجودا لا معنى له ولا فائدة تنتظر من وراء ذلك.

- وهل تعيش أنت نمطا مغايرا من الوجود ؟ (كان في صوتي بعض الحدة) لقد نجح «أوسا» في أن يخرجني عن طوري ويبد، أنه لم يكن يهدف الى أكثر من ذلك. والآن وقد توصل الى ما يريد فهو يبدو هادئا تماما. أضاف بعد برهة والابتسامة تعلو ملامحه :

- على كل فان حياة مثل هذه لن تتسبب لي في السعار ..! أما أن يحدث شيء مغاير فان ذلك يستجيب تماما مع رغبتني القوية في الخروج من هذه الحلقة المفرغة ومازلت أعتقد أن الألوان لم يفت بعد لكي يتهيأ مثل ذلك ... اما ما يمكن أن يحدث في المستقبل اذا ما ضاعت الفرصة التي ينتظرها الانسان فانه لا يبقى أمامه الا أن يواجه قدره الذي لا يطاق كما هو الشأن بالنسبة ....

تدخلت متفعلا :

- واصل ..! أكمل فكرتك ..! تريد أن تقول كما هو الشأن بالنسبة لي أليس كذلك ؟ أنت تعتقد أيضا أنني لا أطاق ..!

تنهّد «أوسا» مرهقا :

- يمكنك أن تستنتج بنفسك هل أن في مقدورك أن تغير أي شيء ..! فهذا العمل الذي تقوم به هو تماما العمل الذي يعهد به

لاي شخص لا يطلق، ولكن أنت ماذا تنتظر منه ؟... ثم هناك حياتك مع زوجتك فان كنت قد فهمت جيدا ما تحدثت به فليست حياة سعادة كاملة ومع ذلك فانت لم تفكر ولو للحظة في الطلاق .. أنت ...

- أنت ... أنت ... لماذا لا تغير الاسطوانة ؟... وأنت هل وضعك أفضل ؟... هل يمكنك أن تترك هذا العمل لكي تجد غيره ؟ هل يمكنك أن تطلق زوجتك ؟...

- أنا !؟.. أنا لا أستسلم دون مقاومة ... أنا سأقاوم !.. سأريهم كم هي حادة انيابي ... وبالمناسبة فاتركني أقول لك اني مقدم على الطلاق .. ستكون تلك هي بداية التحرر..!  
- لا يمكن أن تكون الا مازحا !؟..

- المزاح يكون في مواضيع أخرى غير هذه (كان في صوته الكثير من العتاب).

ما أثار دهشتي أكثر من موضوع الطلاق هذا الذي يتحدث عنه «أوسا» هو شعوري بأن نواياي الحقيقية قد باتت مكشوفة. «أوسا» كان يبدو بحياة عادية لا تثير علاقاته مع زوجته التي أنجب منها صبيا أي انتباه. مازلت أذكر اسم ذلك الصبي الذي يناديه «بابي»، أما علاقتي أنا بزوجتي فقد عرفت تدهورا واضحا في المدة الأخيرة وان كنا لم ننجب أطفالا. ولست أدري ما الذي أعاد الي ذاكرتي في ذلك الحين صورة ذلك الشخص الذي يسمى «فاليري» والذي يدعى أنه صديق العائلة والذي كثيرا ما ألهب مشاعر الغيرة في أعماقي. دون أن أشعر وجددتني أقول :

- أنا أيضا أفكر في الطلاق ...!

- أنت تفكر في ذلك أما أنا فقد اتخذت قراري ! (كان في صوته الكثير من الاستهزاء).

هكذا بعد أن تأكد «أوسا» أنه قد أصاب الهدف، غير مجرى الحديث تماما لكي يسألني كيف قضيت مساء البارحة.

- البارحة مساء ... أه ...! لقد ساعدت «جان الصغيرة» على مراجعتها لدروسها !

«جان الصغيرة» هذه هي الأخت الصغرى «للولا» زوجتي، وهي الآن في السنة الثالثة. وبما أنها لم تكن نابغة بشكل يلفت الانتباه فإن أساتذتها قد هددوا بإمكانية توجيهها الى إحدى المدارس الفنية ان لم تتحسن نتائجها، وهكذا رضيت بالتصدي لمساعدتها املا في تحسين الوضعية ... أنا أعتقد ان «ايقور أفيفينيوفيتش» بامكانه الاعتناء أكثر بابنته ولكن كل العائلة ترى - أولا وخلافا لما اراه - أن والدها رجل مشغول جدا، و - ثانيا - من المستحسن ان ابرهن أنني قادر على اعانة العائلة ولو قليلا بشكل من الاشكال.

فجأة أدركت أن «أوسا» معتم بالموضوع، كان التساؤل على شفتيه :

- وكيف هي الامور الآن ؟ ...

ARCHIVE

http://Archive.org/details/sakhril

- أمور من ؟

- المجموع ككل ؟ ... ماذا تراجع معها ؟ ...

- الكهرباء.

أضاف «أوسا» بصوت انسان ساهم :

- أتعرف أنني لو كنت مكانك لما ترددت لحظة في مراجعة ذلك معها ؟ ...

ولكنني نهرتة في حدة :

- ولكن قبل ذلك عليك بالشروع في الطلاق ...!

اندفع يدافع عن نفسه في حماس :

- لا ...! لا تفسر كلامي هكذا ...! اني جاد تماما ...! ماذا

تعتقد اني أتصور أنك تنتظر من «جان الصغيرة» ؟ ... هيا ...!

فانت رجل متزوج ...! لماذا لا تتخلي لي عن دروسك تلك ؟ أه لو كنت تعرف أن الكهرباء موضوع مناسب تماما للطرق البيداغوجية ..! زيادة عن ذلك فالبنات لا تخلو من أهمية خاصة ..! سيمكنني عندها أن أكونها للاستعمال الخاص...

أنت لا تعرف كيف يكون الرداء الملكي الأزرق .. وكيف هي القباقيب الملكية الزرقاء...

بدت لي غمغمت الخافتة مثيرة للاعصاب.. صحت به :

- بماذا تغمغم ؟ ... ماذا تقول ؟ ...

- مجرد الذكريات ...! كان ذلك عند زواجك «بلورا» عندها فقد زمكنتني ان أرى «جان الصغيرة» للمرة الأولى ... كانت ترتدي سترة ملكية زرقاء وقباقيب ملكية زرقاء ... أتذكر منذ متى كان ذلك ؟ ... منذ عامين أليس كذلك ؟. لقد كانت في حينها بنية صغيرة هكذا .. تقول أنك تراجع معها ماذا ؟ الكهرباء ..! لا أوافقك على هذا فهي ليست في حاجة الى الكهرباء وأنت لا تعرف شيئا عن الطرق البيداغوجية ... يجب أن أتفرغ لذلك بنفسى!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ها أنك تفقد العنان ..!

- حسنا ...! لقد كنت أمزح ... على كل فالفكرة لا تخلو من أهمية ..!

الرداء الأزرق والقباقيب الملكية الزرقاء ... نعم يجب أن تتنازل لي عنها !

- عجيب أمرك ..! وما ستفعل بابنك الصغير ؟ ...

كنت أريد أن أعيده الى الأرض، لكن «أوسا» أخرج مشطا قذرا من جيبه وشرع في تنظيف ما بين أسنان المشط بعود وقيد.

- يجب أن لا تعتقد اني لا أحب ابني الصغير ويجب أن تعرف أنني لا أستطيع التخلي عنه مهما كان الأمر. لا اسمح لك بأن تعتقد أنني نذل الى هذا الحد ...!

سأذهب لزيارته كلما أمكن ذلك. لقد حسمت هذا الأمر مع زوجتي.

صحت مندهشا :

- سبق أن بحثتما هذا الأمر وتوصلتما الى قرار ؟ ...

- لقد حسمنا كل شيء (كان يكذب بشكل مفضوح !)...  
سأعود هذا المساء الى منزل والدي ... بالمناسبة كنت أريد أن  
أطلب مساعدتك لنقل المتاع ولكن نظرا لاني لن أخذ الا القليل ...  
الفونوغراف ... والأشرطة ...

- يمكنك أن تعتمد علي في ذلك (كنت أسمى لتركيز أفكاري  
في حين كان «أوسا» يردد لنفسه)

- الأزرق الملكي ... الأزرق الملكي ... الأزرق الملكي ...

بدا لي فجأة أنني اكتشف جسامة ما أقدم عليه «أوسا» :

- أنا لن أفهم بعد تصرفك ...! كان كل شيء يبدو طبيعيا  
بينك وبين زوجتك ؟ ...

- يمكنك أن تقول أيضا أن كل شيء مازال طبيعيا بيني  
وبينها !

- وهل يستوجب ذلك الطلاق ؟ ...

صاح «أوسا» وقد نفذ صبره لغباتي :

- لقد أفهمتك طولا وعرضا ان هذا المجتمع هو مجتمع الحدود  
«الزم حدودك» والانسان فيه يدور في حلقة مفرغة ... لذلك لا بد  
من الاعتناق ...! لا بد من التحرر ...!

- كما يحلو لك أيها الشيخ الخرف !

هنا بدا «أوسا» وكأنه يفضي لي بكل ما يعتمل في داخله :

- أنت تعلم أنني عندما تزوجت لم يكن ذلك عن حب مسبق.

أما زلت تذكر ما كنّا نريده عندما كنّا شباباً : «المهم حياة منضبطة وظروف ملائمة» ... ولكنني أكون صريحا معك فاني أقول لك انني بعد أسبوع من العرس فهمت انني سأخون زوجتي في يوم ما.

- قد تكون فهمت ذلك قبل العرس ذاته ؟ ...

- لا يمكنني أن أنكر ذلك (قالها في صدق ظاهر)... انت افضل من يفهمني.

- وتخونها العديد من المرات بعد ذلك ؟

- ماذا يمكنني أن أقول ... وللأسف فان ذلك لم يحدث ولو مرة واحدة الى حد الآن ... ولكن ...

- اذا كان الأمر كما تقول فما الذي يمنعك من مواصلة حياتك كما كانت من قبل ؟ ...

- ذلك غير ممكن (قالها في حزم وتصميم)... اولا ذلك غير ممكن في مجتمع الحدود هذا، وثانيا ما هممت قد صارحتك بما في حياتي فيمكن أن أضيف أيضا أن زوجتي تقتل في اعماقي كل رغبة في المرأة الى الحد الذي أصبحت فيه أخشى أن أصبح عاجزا ... وطبعاً فانا احترم زوجتي وأقدرها، ولكن كما ترى فاني بعد ثلاث سنوات من الحياة الزوجية لم أتوصل الى تغيير أي شيء في تصرفاتها رغم كل المرات التي حدثتها فيها عن مثل هذه الأشياء ورغم كل الكتب التي دفعتها الى مطالعتها... ولكن لا فائدة تذكر من وراء كل ذلك ... النتيجة صفر.

ألحيت له في تخايل :

- قد تكون الطرق البيداغوجية فاشلة ؟ ...

- أعتقد ذلك جدياً ؟ ... أنت تعلم أنها ليست المرأة الاولى في حياتي كما تعرف أيضاً أن خبرتي في هذا المجال تساوي شيئاً ما على الأقل ... من قبل لم تكن هذه الأشياء تحدث مشكلاً في حياتي ولكن معها هي ...

- ألا تعتقد أن وراء ذلك عاملا نفسيا نتيجة القلق ؟

- أعتقد ذلك ؟. (كان انتباهه قد تضاعف) ... ولما لا ؟ ... لا يستبعد أن يكون ذلك ... ومن ناحية أخرى فإن الوضع بتمامه موبوء ..! منذ مدة بدأت أشعر أن الأشياء ليست كما يجب ... «لورا» زوجتك تعرف مثل هذه الأشياء أن صدق ظني ؟ أنا شخصا أميل الى تفسير ذلك بالقلق الوجودي. الا تعتقد أنه يمكن أن أطلب من «لورا» موعدا لكي تفحصني ؟ ... ماذا قلت ؟ ... هل ترى أن ذلك ممكن ؟ ...

- ممكن ولما لا ..! (قلت ذلك بكثير من الاريحية) وأقترح عليك أكثر من ذلك : لماذا لا تطلب مقابلة حماتي ذاتها ؟ ... هل تريد أن أكلمها لك في الموضوع ؟ ... ستجد لك مكانا في المستشفى في اسرع وقت ممكن.

زوجتي والدتها مختصتين في الطب فاما حماتي العزيزة فهي تنهيا لوضع حد لحياتها المهنية لكي تتفرغ لقضاء فترة من شيخوختها في مصحة الاستاذ «كوبسيفيتش» وهي مصحة متعددة الاختصاصات وصاحبها اختصاصي ذو خبرة لا تنكر. أما أبنيتها «لورا» فهي على درج والدتها مختصة في الطب مع فرق بسيط بينهما وهو أن البنت كانت تكرر سنوات دراستها بانتظام ولولا لباقة والدتها لما أمكنها تجنب الرفق. ولكن ذلك لم يمنعها من ابداء استعداد فطري للتعلم بكل الاختصاصات السامية وقد كان أحدثها في ذلك الحين علم النفس لذلك لم تفرط فيه.

قال «أوسا» وفي صوته شعور بالانكسار :

- من فضلك، اني جاد تماما ..! أرجوك أن تقوم «لورا» بفحصي، أريدها أن تنبش جيدا في أعماقي لكي تساعدني على الخروج من هذه الازمة أريد ان ينتهي هذا الزقاق ..! قل لي بصراحة : أترى مانعا لذلك ؟ ..

هزرت كتفي في لا مبالاة :

- كما تريد ..! كيف تتصور انني امانع في ذلك ؟ .. ما عليك



الا التوجه الى «لورا» مباشرة. اني أدري منك بفحوصها هذه ..  
لقد كانت تسعى جاهدة أن تجد عندي لست أدري ماذا ؟ ..  
انحرافات مرضية أو لست أدري ماذا ؟ ... ثم تقول لي بعد ذلك ان  
هذه التعاريف هي بالنسبة اليها مجرد تعاريف تستعين بها على  
فهم دروسها بشكل أفضل ... وبما أنني لم أكن المريض المثالي  
فسريعا ما فقدت حماسها لحالتي المرضية ... اما أنت فأعتقد  
جازما أنها ستعتني بك بكثير من الحماس.

- أي بمعنى آخر فأنت لا ترى أي مانع من توجيهي اليها ؟

- طبعا لا ..! أكثر من ذلك فأنا اعتقد انها ستكون معتزة  
بالتجانيك اليها بصفتها طبيبا نفسانيا.

- هكذا ..! هكذا اذن ..! (كان واضحا أن الفكرة قد أعجبت).  
جميل أن تجري تجاربها على شخصي .. أن تخضعني لاختباراتنا  
وأشياءنا الأخرى ... أعتقد أن «فرويد» كان شخصا ذا شأن.  
لوتدري كم أنني في حاجة الى بداية جديدة لحياتي ؟ ... اما العقد  
النفسية فسألني بها من النافذة ...

- أين أنتم يا أولاد ؟ ... هيا يا أولاد ؟ ...

<http://Archivebeta.Sakhrnt.com>

كان الصوت صادرا عن عطفة السلم السفلى. ثم تبع النداء  
صوت كعب حذاء نسائي يتردد صدى على درجات السلم ثم ظهرت  
«أولقا الصغيرة» ... كانت تلك هي زميلتنا بالمخبر. لقد جاءت  
بسقائرها لكي تشاركنا الجلسة. كنت كثيرا ما تساءلت لماذا كانت  
الطبيعة قاسية بهذا الشكل مع هذه الذات الخفيفة الروح لكي  
تكسبها ملامح يصعب استملاحها ؟ ولكن تساؤلي ذاك لم يعني  
خلال حفلة جمعت الرفاق منذ قرابة السنة، وتحت تأثير أبخرة  
الشراب من أن أسعى الى تجريد «أولقا الصغيرة» من ثيابها  
ومنذ تلك الحادثة فأنا احس أن الصغيرة تكن لي بعض الانجذاب.

رفعت الينا «أولقا الصغيرة» نهاية خيشومها في تساؤل :

- ماذا تناقشان هنا ؟

- نبحث أعراض مشاكل الجينية (وقهقهة «أوسا» مبتهجا باكتشافه).

أجاب «أولقا الصغيرة» كما لو كانت تريد أن تعتذر عن طفلها :

- هل تعلم أن «الفوهرر» قد سأل عنك ثلاث مرات يا «ساشا» ؟...

هو لا يحبذ أن تتغيب عن مكان عملك ..! لقد هدد بتقديم تقرير في الموضوع.

- يا له من نذل (كان في صوت «أوسا» الكثير من الحقد).

أخرجت «أولقا الصغيرة» سيارة وبقيت تنتظر الولاة. أخرجت وقيدي وأشعلتها لها. رماني «أوسا» بنظرة استفسار. كان واضحا من ملامحه أنه لا يرغب في الرجوع وحيدا الى المخبر. ركل المصقعة عدة مرات بقدمه لكنه أحجم عن الكلام خشية ان أسلط عليه سخريتي.

ARCHIVE

- حسنا ..! هيا بنا الى العمل ..!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قلت ذلك وأخذت طريقي نازلا درجات السلم. تبعني «أوسا» مصفرا وعلى ملامحه انشراح الصياد «بيل».

مالكم يا أولاد ان اليوم هو يوم عيدكم ؟

كانت «أولقا الصغيرة» تحاول أن تستبقينا. تساءلت في دهشة :

- أي عيد هذا الذي تتحدثين عنه ؟

- كيف ؟.. لا تعلم ؟.. انه عيد الرجل ...! اليوم عيد مارس !

- ماذا ؟... ماركس ؟

- لا ! مارس ..!

- اذا كان اليوم هو عيد مارس فنحن اذن مريخيون ...!

تركنا «أولقا الصغيرة» واقفة هناك في حيرة وأخذنا اتجاه مدخل الدهليز الطويل الى ان أدركنا باب المخبر. عندها استوقفني «أوسا» مستفسرا :

- يبدو أن «أولقا الصغيرة» قد التقت الشص ؟ ما رأيك...؟

- يبدو ان الأمر كذلك !

ما قولك لو أوليتها ؟ إنها على أتم الاستعداد للانفجار عسى أن ينسبها ذلك مظهرها المتواضع، الا ترى ذلك ؟ اني على استعداد لممارسة الحب معها لمجرد ارضاء ضميري.. ماذا تقول ؟

في تلك اللحظة مرق رئيس خلية الشباب الشيوعي مهرولا وهو يصيح :

- الاجتماع على الساعة الثانية ! الساعة الثانية الاجتماع !

في النهاية قال «أوسا» مشيرا الى الباب :

- دلفت الى داخل المخبر متجها الى مكتبي في تمهل . كان «الفوهرر» يبيري قلمه ساهما دون أن يعيرني أدنى اهتمام . أدت قرص الهاتف، فكرت أن أطلب «لورا» لكي أعلمها أنني أنوي المرور على منزل «أوسا» بعد الانتهاء من العمل لأمري لا يمكن تأجيله ... لن ترى «لورا» مانعا لذلك ... ماذا لو أعلمتها - لمجرد ان أجد متنفسا للتكلم عندي - بما أنوي به ؟ ... منذ مدة أصبحت «لورا» لا تحس بالحاجة لاشراكي في معرفة مشاريعها !

كنت قد أدت قرص الهاتف عندما دخل «أوسا» بدوره ، لكن «الفوهرر» اعترض طريقه قائلا :

- لحظة أيها الفتى !! تعال الى هنا ...!

انصاع «أوسا» للأمر عن طوعية مرسلا في اتجاهي نظرة ذات معاني سأل «الفوهرر» في جفاء :

- لماذا تركت عملك دون اذن ؟

نظر الي «أوسا» من جديد كأنه يريد أن يقول لي : «أوسا»  
حلال لكم حرام علينا ... يا له من مسكين ... لم يكن في مقدوري  
إلا أن أهز كتفي في استسلام. واصل الفوهرر في حدة متصاعدة :

- هل انت واع تماما لطريقتك في التصرف ؟

كنت أحاول من وراء ظهر الفوهرر أن أفهم «أوسا» أن عليه  
أن يقول إن أمرا مستعجلا اضطره للتغيب ... هيا حاول أن تجد  
أي شيء ... هيا ...!

لكن «أوسا» رد مشاكسا :

- ماذا ؟ ... ألا يستطيع الانسان حتى الذهاب الى بيت  
الراحة الا بعد الاستئذان ؟...

أثارت اجابته تلك عاصفة من الضحك في المخبر . تدخلت  
لانقاذ «أوسا» ولاشاعة مناخ الانفراج في المخبر :

- هذه حاجة اضطرارية أيها الرفيق الرئيس ..!

أجابني «الفوهرر» : <http://Archivebeta.Sa>

- هذا معقول ويمكن أن أفهمه تماما أما ما لم أفهمه فهو ماذا  
كان يصنع طوال كل هذه المدة التي غاب فيها ؟...

أفردت يدي في استكانة، كان وجه «أوسا» يزداد شحوبا  
وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة. رماه «الفوهرر» بنظرة ازدراء  
قائلا :

- حسنا ..! يمكنك العودة الى عملك !

ومنذ تلك اللحظة تناساه تماما. كنت أحس بنظرات «أوسا»  
التي كان يرمي بها في اتجاهي.

ارتفع صوت الاذاعة الداخلية للمخبر، كان صوت «ليونيد  
ايليش» العادي كما تكون السماء فوق الرؤوس. اشتغلت فتيات

المخبز بتقسيم خبزة الحلويات الى اثني عشر قطعة. كن قد اعددت الشاي الذي تدل رائحته على انهن قد أضفن اليه كمية كافية من الفودكا لكي تجعل المهرات الكريمات يهجمن علينا نحن الرجال لكي يطررنا بوابل من التمنيات ظاهرها الكثير من حنان الأمومة :

- عيد سعيد ...! عيد سعيد ...!

كان « الفوهرر » يغمغم :

يا لهن من قحاب ...!

اما أنا فقد تمكنت من الافلات بصعوبة من الرباعي النسائي الذي يشتمل عليه فريقنا خاصة وقد أصبحن على درجة عالية من الجراءة التي سلحتهن بأفكار شيطانية، كل ذلك ساعدت عليه ادخنة هذا البيت العائلي الخائفة.

راعني أن أرى « أولقا الصغيرة » تتقدم في اتجاهي لتصيدني، أحسست بالخطر لكن بعد فوات الأوان اذ حاصرتني محيطة وجهي بيديها اللتين هبطتا علي كجناحي طير كاسر ثم أهوت علي من بين خصيلات شعرها السوداء الحرشاء بشفتين كفردتي قبقاب. ولم أكن متهيئا لكل ذلك ولكن غمغمت :

- برافوو...!

- هكذا أريد أن أكون ..! (همست لي وانفاسها الحارة تلعف أذني)

كان « الفوهرر » مازال يتلقى قبلات المناسبة بصبر لا مثيل له. لاحظت أن « أوسا » قد استغل فرصة الفوضى الناجمة عن ذلك الوضع لكي يختفي من جديد.

سارعت بابتلاع قطعة الحلويات التي كانت في يدي وخرجت مهرولا أبحث عنه. كان في نفس المكان المعهود عند عطفة سلم النجدة. لم يحاول حتى مجرد الالتفات في اتجاهي. كان واقفا ساهما بشكل يبدو أنه ما من مخلوق على وجه الأرض أكثر تعاسة

منه. تساءت بعد برهة :

- ماذا هناك ؟ ...

لم يجب، كان واضحا انه غاضب مني

- أغاضب مني ام اني واهم ؟ ..

جلست على حرف النافذة وأخرجت علبة سقائري. لا أعتقد أنه في امكان الانسان أن يشعر باللذة عندما يدخن سيقارة ويكون أمامه انسان في مثل ذلك الوضع، لكنني جمعت شجاعتي لكي أنتزع منه أسباب غضبه حتى وان استلزم الامر كلاليب خاصة. لا شك انها قشة طفحت فوق الحليب سرعان ما تزول ... لكن الصمت امتد بيننا.

فجأة نطق «أوسا» :

- لا .. أنا لا ألوكم على أي شيء ..! كنت فقط أريد أن

أسألك معروفا صغيرا ...

طمعني ذلك فسارعت قائلا :

- طبعاً ..! طالبا ..! يمكنك أن تسأل أي شيء ...

قال بكثير من الثاني والتأذب المبالغ فيهما :

- أرجوك شديد الرجاء أن تعفيني من مواقف التهريج هذه

التي تعكسها ملامحك ..!

- ماذا ؟ ... ماذا تقول ؟! ...!

- كلامي واضح ..! أرجو بالخصوص أن تعفيني من ملامح

المهرج هذه التي تلبسها بالمناسبة لانني لا أريد أن أصبح مهرجا مثلك ..!

كان يلغظ كلماته تلك كما لو كان يبصقها من أعماقه بكثير من التقزز.

- لم أفهم ..! (كان اندهاشي غير متصنع)

- لا ..! لا ..! لا تواصل هذه اللعبة معي !

- عن أي لعبة نتحدث ؟....

- أنت تعرف كل شيء، قد تكون بارعا في تمثيلك للدور، ولكن كل ذلك مقرف !

- أرجوك كفى !... يجب أن تفسر لي الأمر ! (كنت أحاول أن أضبط نفسي).

اكتست ملامح «أوسا» الكثير من القرف ولكنه لم يجب. ولما فهم أنه لن يستطيع أن يتماذى أكثر في موقفه ذاك لاني على أتم استعداد لتركه وحيدا، قرر الكلام :

- حسنا !... سأحاول أن أفسر لك الأمر ولكنك لا تعلم كم يكلفني ذلك !...

- إذن لا ضرورة لذلك إذ لا موجب لتحميل نفسك ما لا تطيق!

قذفني فجأة بصوت غاضب:

- قل لي من فضلك ؟... قد تكون أشت أيضا من صفهم ؟...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- من صفهم ؟... صف من ؟...

- لا أهمية لذلك !... حسنا !...

- لا ! أرجوك ... قل لي على الأقل عن تتحدث ؟... لماذا

تتهمني بموقف المهرج ؟...

قال مقلدا صوتي :

- «الفوهرر» طبعاً !... هذا «الرفيق الرئيس»...! هذه

«الحاجة الضرورية»...! هذا الوغد لا يترك أي فرصة تمر دون أن يوجه لي اصبع الاتهام، اما عندما يتعلق الامر بك أنت فهو يصبح غير قادر على أن يرى أي شيء ..!

- وتعتقد أن الخطأ خطئي ؟...

- وهل تعتقد أنت أن تصرفاتك هذه تقبل باسم الصداقة ؟...

ولنفترض أنك تتصرف عن حسن نية، فانت تساعد على تحقيق

غاياته... لقد قلت لك من قبل أنك تتدهور ولكن الآن أصبحت  
أعتقد أن وضعك أدهى من ذلك.

- كنت أعتبرك دائما أعز أصدقائي ..! ومازلت لم أفهم بعد  
ما الذي غيرك !

- أنا أيضا لم أفهم بعد ! ولكن أشعر أنه من الآن فصاعدا لا  
يمكنني إلا أن احتاط من بعض مواقفك !

- أية مواقف ؟...

- ألم تلاحظ أي شيء ؟ ... لنفرض أن الأعيبك هي طريقة  
لديك للتأقلم مع الأوضاع ولكن ما يدهشني هو أنك لا تلاحظ  
ذلك؟؟...

مسكين «أوسا» قد أصبح يخلط بين الأشياء ..! لا شك أنه  
يمر بوضعية صعبة. تسلمت بالصبر. وأصل هو كلامه :

- أن تمثل معي دور المهرج يمكن احتماله منك ولكن أن  
تغمض عينيك عما يصيب أعز أصدقائك فذلك ما لا أقدر على  
تحمله ..!

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- ولكن ما الذي حدث لا عز أصدقائي ..؟

- شيء ما ..!

كان في كلامه الكثير من الابهام، تسائلت :

- ماذا ..؟ معاكسات «الفوهرر» القذرة ؟...

- هذا ما يبدو طافحا على السطح ... ولكن هناك شيء آخر  
قد يكون من الأفضل أن لا أحدثك عنه...! ان كنت تريد أن تلتزم  
بالحياد فمن الأفضل أن لا تحشر نفسك في هذه المشاكل !

- وهل الأمر على هذه الدرجة من الخطورة ؟... (كنت  
مندehشا).

- أنت يا صغيري تجهل الكثير من الأشياء !



- حسنا !.. (وربت على كفه بكثير من السذاجة المتصنعة) ان لم تكن مستعدا لذلك فليس من الضروري الحديث عن ذلك، ولننتكلم في موضوع آخر !

- ليكون ذلك !... لننتحدث عن شيء آخر رغم أن ... (هاهو يستعمل نفس الغنة الطافحة بالحماسة) ورغم أنني اعتقد أن ذلك يهملك أيضا.

- هكذا إذن !... لننتكلم في الموضوع مادامت الأشياء تهمني !... (وعدنا من جديد الى نفس المهزلة).

- لا !.. مستحيل !... أنا غير قادر على ذلك (كان موقفنا اني قد ابتلعت الطعم)... أنا في حاجة الى المزيد من التفكير والتمعن قد يكون ذلك أفضل !

- أنت تتصرف كطفل صغير !

صعد «أوسا» زفرة **حرى من الاعماق** وقال :

- تقول اني طفل صغير... لا شك ان الامر كذلك !..

أحسست بالرغبة في القبض على رقبته بشدة ونفضه بقوة ولكن صوت خطوات صاعدة الدرج تناهي الينا. هذه المرة كان «الفوهرر» نفسه. بدأ مرتاحا لاكتشافه :

- هذا ما خمنت !.. (ثم اتجه بالخطاب الى «أوسا») أنت لتدخل حالا الى المخبر وأنصحك بأن تفكر طويلا في الاعذار التي ستقدمها للمدير لتشرح له كيف تقضي سويعات عملك وستعرف عندها هي هي دورة المياه ان مكان آخر !

ثم اتجه «الفوهرر» اليّ بالخطاب :

- وأنت أرجوك أن تتبعني الى قاعة الماكينات فنحن في حاجة الى محادثة قصيرة !

دخل «أوسا» المخبر في تثاقل في حين سرت أنا وراء «الفوهرر» نازلين الى قاعة الماكينات حيث اكتشفت وجود

الكثير من اللذين يعول عليهم. لم أفهم لماذا يريد «الفوهرر» أن يحشرنني بينهم. فتح «الفوهرر» باب الخزانة السرية ليخرج منها صفيحة منيكلة يحتفظ فيها باحتياطي الشراب المركز. وهكذا تواصلت الحلقة في نطاق أضيق. انحنى «الفوهرر» على أذني هامسا :

- أنا لا أفهم كيف يمكنك أن ترافق شخصا مثل هذا ؟... (كان يعني «أوسا» دون أدنى شك)... لم أصادف في حياتي شخصا أضيق أفقا منه. كثير ما تساءلت كيف أمكنه اقتلاع دبلومه الدراسي ؟... ولا شك انه قد دفع رشوة من أجل ذلك للحصول عليه ؟... ألا تعتقد ذلك ؟...

- لقد كان مستواه أفضل مني أثناء الدراسة... كان فتى متميزا !

- لا يبدو ذلك ..؟ لست أدري ؟... (بدا «الفوهرر» ساهما).

جاءت «أولقا الصغيرة» بكاس ماء بارد وبيعض خبز السجق. كانت تلك الأشياء قد استولت عليها من مائدة الحفل. أما «إيميلي الحساسة جدا» فقد تضدت على الطاولة مربى حب الاس ذي النكهة اللذيذة. تسابق الرجال - وكذلك فعلت «إيميلي الحساسة جدا» - الى ازدراد جرعات الكحول المركز دون اضافة الماء اليه. اما «أولقا الصغيرة» فقد اختارت جرعة من المشروب مبطنة بالخبز والمربى. وكانت تلك هي نقطة انطلاق الحديث عن مشاكل البلاد الكبرى.

فتح الحديث «الفوهرر» وفي وقته الكثير من ملامح البابا عندما يكون يوزع صكوك الغفران متأرجحا على مقعده :

- الآن يعاودني طعم السجق الذي كنا نتحصل عليه من قبل... كان سجقا طبيعيا وليس مثل هذا الكرتون الذي يقدمونه لنا اليوم وهو ينز ماء ... اللحم كذلك - ما زلت اذكر ذلك وكل أبناء جيلي لا شك انهم يتذكرون ذلك - ... اللحم، وعندما أقول لحما ...

بعد برهة تفتن البعض الى أن «سيدور» ذلك المهندس الذي ولد له منذ مدة توأمان قد أغفى في ظل إحدى الماكينات. ولم ينتشه من نعاسه الا صوت الفوهرر يصيح به :

- «سيدور» !...

- خذني على يدك !... خذني على يدك !

كان «سيدور» يردد ذلك قبل أن يطفح على سطح الوعي.

- ماذا تعني به، خذني على يدك ؟...؟

حاول الآخر أن يجد مخرجا من ورطته، قال محرجا :

- تلك هي نتيجة الليالي البيضاء والارهاق... لم يغمض لي جفن البارحة فما أن وضعت رأسي حتى صاح أحدهما : ماما ... ماما.... سألته أمه عن حاجته فقال لها : (أريد أن تحضنيني..)

وما كاد يهدأ حتى صاح الآخر : (بابا ... بابا ...) .. وكان هو أيضا في حاجة الى من يحضنه... وهكذا كانت الليلة.

قال «الفوهرر» معاتبا «سيدور» :

- كل هذا نتيجة تدليك لهما ! لو أنك انصفت أحدهما مرة لكانت تلك هي الأخيرة !

تنهد «سيدور» قائلا :

- كيف تريدني أن اضرب الأطفال ؟... هذا ما لا أقدر عليه !

قال «الفوهرر» متمسكا بموقفه في عناد :

- الصفعات ضرورية أحيانا، فابنتي البكر عندما تفوهت أمامي للمرة الأولى ببعض تلك الكلمات النابية عرفت كيف اجعلها لا تكررهما مرة ثانية اذ بقيت طويلا تذكر اثار أصابعي على وجنتها. صحيح انه كان يجب أن أتحكم في أعصابي ولكن ذلك علمها كيف تلتزم بالحدود...

يتبع

## فكر

« العازل » في أمره .. تأمل  
شريط حياته المتلاطم، وقد  
اصطخب اصطخبا في  
بحر المحيط المتجمد .. تأمل كل  
الأشياء التي تحيط به : في الأهداف  
التي سعى إليها دون جدوى .. في  
الهامش الحاصل والمحصول دون  
عناء ... والأشياء الهاربة كثيرة  
وكثيرة جداً ..

## جرب جرّك !..

تأمل بعضها في السنة اللهب الحمراء المستمرة في المدفئة  
الشتوية البسيطة .. ليلة رأس السنة الميلادية الجديدة. قرأ بعض  
الحروف النازحة من الشرر المستطير .. ماذا تريد أن تعرف ..  
قصتك الطويلة مع الأهداف والعوامل والأغراض .. جيبك المخروم  
من الافلاس .. كراريسك المنتشرة هنا وهناك في غرف المنزل ..  
كتبك المطبوعة الموجهة ... أه .. ماذا في الرأس الآن ؟؟ لا أدري ..  
القائمة طويلة وطويلة جداً .. أنصحك بعدم التفكير في أي شيء  
وغنّ مع .. علي الرياحي ... ما تفكرش في الأحزان !.. ما تفكرش ..  
ما تفكرش !..

أجل ! لا تفكر في أي شيء ، فنسيج الليل قد بدأت خيوطه  
تنزل، تداهم ضوء النهار .. لا تصرخ بأعلى صوتك تغيث وتستغيث  
« الكتاب .. الحقوق .. الكتاب .. الحقوق » دمعك من خرافات الزمان  
فالعجلة الخامسة تنام في البؤرة الخلفية للسيارة حتى يأتي  
دورها عند العطش .. نجار الكراسي القديمة يعجبك حقاً .. لا يفكر  
في أي شيء بضاعته بين يديه والبقية تأتي .. رجل عصامي. معتد  
بشخصيته، قانع ومقتنع بما يسر له لآزمان .. الكراسي القديمة

ضائعة داخل الدكان، متراكمة فوق بعضها مكسرة مخلوعة ومنزوعة الأوتاد، بائع الفحم والغاز يضفي على دكانه مسحة شتوية خاصة.. يتمنى استمرار الأمطار والعواصف.. وتتساءل أنت .. فيماذا يمكن أن تفكر.. في الكتاب العريان.. وقد شعر بالبرد القارس دون هودة.. يمكن أن يغطي بالورق المقوى، فهو شاذ يحفظ ويقاس عليه.. لا أحد يعرف فيماذا سيفكر !؟ في المنزل، السيارة، المرتب الهزيل، طلبات الزوجة المتصاعدة، غلاء المعيشة، طوفان العصر ولا حصر،!

في أي شيء يمكن ذلك أن تفكر.. يا عازل .. يا معزول ..

في هدايا السنة الجديدة وقد انخفضت .. في درجات الحرارة وحاجتك للدفء.. في لعبة تتلهى بها في هذه الليلة أو في العطل الأسبوعية.. كلهم يلعبون إلا أنت .. لا تعرف لعبة تدر عليك ببعض المال لا ب كله على الأقل .. فاتك الشنب.. وقطار الطريق لا يعود إلى الوراء.. ليت الشباب يعود يوما... تتحدث عن السباق المجنون نحو المادة .. أشياء وأشياء ذهبت مع «خبر كان» لا أحد يعرفك اليوم فاقواعد القديمة بيعت في .. سوق الخردة.. كنت تسأل عنهم .. تعودهم.. تلاحظهم، تحنو عليهم .. والآن قواعد اللعب تغيرت.. واخترت أنت الفرجة من البرج العاجي..فانعزلت عن الناس .. ومشاكل الناس...

- أية لعبة تدربت عليها فحذقتها ..؟

- لا شيء .. كنت أطمع أن أكون .. كوارجيا.. لامعا ...

- أو أي شيء ، آخر ...

- في النهاية .. حتى مطرب شعبي . لكن ...

وتذكر عدة ألعاب كانت تستهويه من نعومة اظافره، اعجابه بكرة القدم . وبالفريق الوطني، ومدربه الأجنبي،، باي شيء يستسر تحت أغطية صوفية وحريرية متنوعة ...

في اي شبيه يمكن أن يفكر المدرب الأجنبي وقد استنفد كل

الأشياء لديه، حتى المخزون الاحتياطي.. تأوه.. العازل .. وأردف قائلاً : ليتني كنت «كوارجيا»و الغريب أنني اتقنت اللعبة في الحومة مع الأصحاب ممن لهم باع في اللعب - بخرق القماش - التي كنا نصنعها بفن خاص، فنقسم الجماعة إلى فريقين، ويبقى فريق الاحتياطي ينتظر خلف خط التماس .. والآن !! بعد ما ضيعت الفرصة ماذا بقي لي من أمل غير أن أصبح مطرباً شعبياً من نوع خاص ؟ فقد أدخل «النوبة» ذات نوبة عصبية وافدة دون هوادة .. فأعيد وأجيد واستفيد !! لكن كيف أصبح مطرباً بهذه الدرجة دون أن التحق بمعهد أو فرقة ؟! هذا غير معقول بالمرّة .. يمكن أن أجد اعانة من أحد .. ان يصقل صوتي المتهدج .. أن أربط حبالي الصوتية من جديد بكابل بلاستيكي مرن فاطلق العنان للصياح في الهواء الطلق وأجرب .. أجرب.. حظي في هذا الطريق .. من يدري .. فالأطرب ارتفع ثمنها هذه الأيام، ومنح الفرق الموسيقية .. من يدري قد زصبح مرة واحدة ممن يشار إليه بالبنان أو بالتفاح أو البرتقال...

فكر «العازل» ملياً في الأمر .. طرح الكتابة جانباً .. عاد يفكر يجدية .. دكاكين - الكسكروت واللبلاي - في كل شارع بالمئات .. مكتظة بالزبائن .. هذا يطلب، صحيفة بعظمتين .. محلاة «بالتن» المحلي أو المستورد على حد سواء .. والآخر قد التهم = لجمته - وأضاف لها بثانية على الحساب .. دكاكين منتشرة كالفقاع في كل مكان .. والجماهير تاكل وتطحن والدنيا بخير.. وفي أي شيء يمكن أن تفكر .. في الكتاب، في الأوراق المتناثرة، في القصة المقرؤة والمسموعة، في برامج الاذاعة المنتقاة، في سبر الآراء، في مقابلات الأحد العاصفة... فيمن انتصر ومن انهزم .. في «البرومسبور» في حظك هذا اليوم .. برج الجمل .. يحقق حلماً كبيراً لم يتوقع بعد .. منحة جائزة مالية تلفزيونية .. إنه برج المستقبل.. يعالج الكثير من مشاكل الناس أو فيما يحمله «برج الثور» لمعالجة الأعراض العاطفية والشخصية وشؤون التعجيل بالزواج والطلاق معا .. أو فيما يتمتع به .. «برج الجوزاء» .. الذي سجل نجاحاً مطرداً لأنصاره، للاستفادة من التأثيرات الفلكية!..

في أي شيء يمكن أن تفكر والحظ لا يبتسم مرات .. على كل.. البرموسبور .. حطم كل الأرقام القياسية في الحظ.. المفلس المعدم يقفز على حبل المفاجأة بسرعة من يدري قد يحالفك مرة فتضحك على الدنيا وتسافر مع من سافر ولم يعد !.. لا يهم مادام الحظ لا يستشير أحدا حين يقرر ويصبح المستفيد من أعيان المجتمع الراقي .. من يدري . لكن حذار . قد تبدو على وجهك بوادر حرج وضيق في الغالب أنت لا تصدق ألعوبة الحظ.. لكن جرب هذه المرة، فالأشياء لا تعرف على حقيقتها من أول وهلة كمعرفة أسرار النجوم الساطعة، والكواكب السيارة وعمليات ترصد حسن الطالع .. ليس في الأمر تطير بالمرة .. أو أنك تقول بأن الأساطير قد استوقفتني .. أو هي مشاهد مزرية من الخرافات الشعبية.. إياك أن تظن ذلك.. أعترف أنك قرأت الكثير من كتب الدجالين الرائجة في الأسواق والمكتبات ومحطات الاكشاك قرأت الزين سالم .. عالم الخرافة يزخر بالقصص العجيبة والأفكار المتوارثة.. قل ما شئت حول الجان وطرق استخدامه حتى في الألعاب الكروية .. هزائم وبطولات السحرة و .. والاستعانة بالشياطين .. أمور لا تصدق .. دجل في دجل لا علينا .. سنقول أكثر .. لكن الخرافة باقية ومنتشرة إلى هذا العصر .. عصر الأقمار الصناعية .. حتى في البلدان الراقية ! قلت لي ذات مرة : إنها موجودة في قلب لندن النابض، بلاد التقاليد الموروثة طبعاً .. والصين واليابان .. و .. و ..

- انها مجرد أفكار فقط..

- لا .. لا .. ومعقدات أيضا ...

- اعني أن قاموس العادات بقي مفتوحا على مصراعيه عندنا !.

- لا .. هذا حكم اعتباطي .. قلت لك لديك أحكام قاسية.

... قلت لك : إن جارنا : فلان الفلاني ، وهو شيخ محترم، معروف باستقامته ورجحان عقله .. ردد على مسامع خاصته بعض صلاته بجنينة عشقته وتزوجها .. صدق أو ا تصدق .. هذا الرجل له

صلة ببعض جمعيات الكرة « يخبرهم قبل اللعب بسويغات بالنصر أو الهزيمة ...

- إذن .. فلعب الكرة أصبح له قيمة عند الجان ايضا ١٩.

- لم لا .. فالمسألة دخلت بعد في دنيا الخرافة الشعبية ..  
أليست هذه اللعبة شعبية مائة في المائة ؟ ..

... قلت لك : إن المسألة تحتل وتحتل .. ابدأ بنفسك أولا ..  
بفتح «دكان التجارب الخرافية» ستربح الكثير .. ولربما يتحول  
إلى مكتب خطير لترصد «البرومسبور» بالكامل.. وستنزل عليك  
الأوراق النقدية بالجملة .. افعل هذا قبل أن تغامر بنشر كتاب  
على نفقتك الخاصة .. فتبيع منزلك وسيارتك وتترك أسرتك  
للريح .. ماذا ربحت من هذه الصنعة المفلسة غير الشقاء  
والتعب.. وإضاعة الوقت في مناقشة القصص التجريبية  
والانطباعية والطبيعية والواقعية والرمزية .. والسفسطائية  
«دار النشر» التي اتفقت معها سوف لا ترسل اليك مبشرة اياك  
بنفاذ كتابك، ومسئلة حقوقك في الموعد أو قبل الموعد أو بعد  
الموعد .. فالمسألة عندها في طي الكتان .. «يا عاجل» .. لا تفكر  
بهذه الأشياء فقد أصبحت منتهية من قاموس المصالح والاتصالات  
التجارية .. أزيدك في القول .. إن البنوك لا تثق «بالكتوب» لأنه  
غير متحسس ولا محسوس !.. وحتى إذا اقترضت إحداهما قرضا  
حسنا فسترد الصاع صاعين ... لا .. لا .. لا تفكر في الأحزان .. كما  
قال «علي الرياحي» .. بإمكانك أن تصبح «كوارجيا» في فريق  
ممتاز .. سوف تلعب الكرة .. عفوا.. تخدم الكرة، والكرة تخدمك  
لأنها تعرف الحنان والعطف بالقنطار .. تعلم إذن فن الكرة بالكامل  
.. ستنهال عليك الهدايا من الهيئات والأنصار، من رجال الأعمال  
والأقوال.. أما حين تعرض كتابك للبيع فتجانب بما أجابت به أم  
الشاعو ابنها ذات مرة لماذا شعرك كشعرك مسترسل ومرسل دون  
حلاقة !!.

خرج إلى الحديقة العمومية، واجه البرد القارس، شاهد  
السلسلة الثلجية المتراصة فوق الاشجار والشعاب.. فكر فيما  
يشده داخل الحديقة أيام شبابه إذ كان من المولعين بزيارتها خاصة



في الامسيات الشتوية المضطربة بتقلبات جوية عاصفة .. كان يحاول ربط هذا المشهد بما كان يتناغم معه في الحقائق الغائبة الجميلة شمال البلاد حيث ارتبط هناك بعلاقات ظفر بها في عز الشباب ... تلاطمت ذكريات «العازل» بالأفق المدلهم الذي ضاع فيه دون اختيار.. ربما كان يبحث عن وظيفة غير التعليم .. تاجر في الورق - مثلا - أو عامل حظيرة يجالس البسطاء والعقلاء في بؤرة واحدة .. أو ربما كان يأمل أن يكون «سائق تاكسي» متميزا بمعرفته للشوارع والمصحات والوقوف في المفترقات دون إشارة، وعدم التوقف أمام الحرفاء بحسب الحالات النفسية التي يكون عليها .. تاه في الأفكار التي حملته عبر ذكرياته الطويلة، وفجأة يرى تلك الجموع البشرية المتدافعة كالجراد من محطة الحافلات في اتجاه «السوق المركزية، ومحلات بيع المرطبات..

بات يفكر في هؤلاء المتدافعين نجر زحام غير طبيعي بالمرة من أجل الفواكه والمرطبات «الشكلانية» الخاصة بموائد ليلة آخر السنة واستقبال السنة الجديدة .. هم يأكلون ويأكلون أي شيء وكل شيء .. أي لحم .. أي شحم .. ديك رومي، حمام، بيض مسلوق، دجاج عربي، كلب، خنزير .. الأخضر واليابس إذا لزم الأمر.. الكامخ والمكموخ، الطازج والمشطور، الهامبرغر .. هذه اللعجة الامريكية الغازية .. وقد تكالب عليها الناس ...

كل شيء يسير وفق عجلة الزمن .. العجلة الخامسة عندنا مثقوبة، ليست على ما يرام .. ورشة الميكانيكي صالغ غير صالحة لاصلاح أي عطل.. هي ذات اختصاصات عديدة وهذه مشكلتها.. والسيارات القديمة تثبت سمومها في الشوارع بلا رقيب .. كيف لماذا أي ازدحام هذا في الشوارع والطرق، حتى الحديقة العمومية لم تسلم من التلوث.. هذا الأخير اصبح ظاهرة صحية لا يعيش الانسان بدونها !.

- موقفك غير حضاري بالمرة ..

- أجل .. انا متخلف جدا .. جدا ..

- ألم تحتفل انت في شبابك بليلة السنة الجديدة .. إنني

أعرفك بالضبط ؟ .

- لكنه طوفان جرف كل شيء .. كنا نحتفل بهدؤ نستمع إلى كل الأغاني الشرقية والغربية على اسطوانات قديمة .. كنا .. لا أنكر .. لكن ..

- اذن .. لماذا انت «ضاغط ومضغوط في نفس الوقت ؟ ألا تعترف بأن عجلة الزمن تحكمت في كل ما يجري اليوم ؟!

- عجلة !! عجلة الزمن !! لا تحدثني عنها لأنها مثقوبة .. معطوبة .. وورشة الميكانيكي صالح غير صالحة لاصلاح العطب..

- لك رأي خاص تصر عليه دائما هذه عادتك من زمان .. إنني أعرفك ..

قفل راجعا إلى الشقة .. دفع باب العمارة .. نثر إلى المصعد أدار بوجهه نحو - المدرج الأرضي .. إنه لا ينسى حكايته القديمة ، حين يتعطب المصعد في الأعلى .. في الطوابق البعيدة تدفعك أشياء وأشياء إلى القطيعة .. إلى اليأس .. حتى صمام النجدة كان معطبا بالكامل !.

ضحك على نفسه وعلى مصعد الزمن. وهو يلهث في المدرج خطوة خطوة .. وتذكر ذلك المشهد المكتظ والزحف المتواصل على السوق... فأضاف : عليك بنفسك .. كما قال المثل .. نفسي .. نفسي ولا أحد..

يحيى محمد

طنقة

العجلات الخشبية الكبيرة  
تصل مسامعنا ونحن نعبّر  
الأزقة الهادئة الساكنة،  
نحو الطريق الكبير، كان الأمل  
يحدونا كل صباح، مذ أن نخرج من  
بيتنا لنذهب إلى المدرسة، في  
ضاحية المدينة الشمالية، كان  
الذهاب والإياب ممتعين، نشاهد  
فيهما مسرح الحياة بأكمله، خاصة  
في هذا الطريق الواسع الطويل،

الزيتون

الذي لا ينتهي، كنت أسأل عنه دوماً، من أين يبدأ وأين ينتهي ؟  
كان إخوتي الذين يكبرونني يجيبونني إجابات متعددة، مما زاد في  
حيرتي ودهشتي ! أصبح هذا الطريق لغزاً بالنسبة لي ! طريقاً  
رهيباً أسود، مخيفاً، لا تنقطع عنه الحركة أبداً، إخوتي لا يزالون  
لا يعرفون حقيقة الأشياء، ولما سألت أبي يوماً، حل ذلك اللغز  
الذي حيرني، منذ عرفته. قال لي : لا بداية له ولا نهاية يا ولدي،  
قد يصل حتى المغرب الأقصى شمالاً. أما من الجنوب فقد يصل  
حتى مصر أو السودان، عند ذلك فهمت أشياء كثيرة، وعرفت أن  
مدينتي صفاقس ذات أهمية كبرى.

أصوات مختلفة، وجلبة، وضجيج صاخب، الحياة بدأت تدب  
في هذا الصباح الباكر البارد.

ما إن نصل إلى هذا الطريق حتى ننبهر بالفرحة الممتعة،  
عربات تمر بطيئة رزينة، وبغال حمر وسود وبيض وبرقع، وروث  
يساقط على المعبد، يغور دخاناً، العربات ترتجف وتهتز، فانضة  
بالزيتون الأسود والأخضر، والبني، بدا الرجال الذين يقودون هذه

العربات كأنهم نائمون، كانوا يجلسون في مقدمة العربات وأرجلهم مدلاة، إما من اليمين، وإما من اليسار، كانت تهتز وتتقلقل كأنها بلا شعور من أصحابها كرقاصات الساعات الحائطية الكبيرة، في انتظام ورتابة، وكان لباسهم «الكدرون» البني، أو القشابية الدكناء، المعفرة بالتربة الصفراء الذهبية، والملطخة بالزيتون المرفوس، العربات تتقدم، تمشي إلى أمام، دون توقف، وكنا نحن نسير نحو مدرستنا الابتدائية على الأقدام في نشاط وحزم، في الصباح الباكر، حين تكون الشمس ترسل أشعتها الأولى، من خلف الغيوم المتلبدة، في شهر ديسمبر، الدنيا باردة بردا يلدغ الأصابع والأطراف، في هذا الصباح. بعد ذلك يزول البرد، وتطلع الشمس علينا دافئة حنونا.

العربات تمشي على حاشية الطريق اليمنى في اتجاه معاكس لها، نحو المدرسة التي تبعد عن منزلنا ميلين أو أكثر، كنا نمشي على الأقدام، خمسة أطفال صفاً واحداً، أو حلقة واحدة، نثرثر، نحكي، ننشد المحفوظات، نقرأ على بعضنا ما حفظنا البارحة، كان أخي الأوسط يعيش في رعب من معلمه القاسي الذي يضر به وببقية التلاميذ بالمسطرة الخشبية الغليظة، على كف اليد، وفي بعض الأحيان على أطراف الأنامل اليابسة برداً، والحرمة دماً يانعاً.

العربات لا تنقطع، الواحدة تلو الأخرى، بعضها طويل ذو بغلين أو حصانين، وبعضها صغير ذو بغل واحد، كانت الخيول تسهل والبغال تشحج فتنتفخ دخاناً أبيض، صافياو ينتشر في الفضاء اليابس، برداً قاسياً، وكنا نحن أيضاً عندما نتنفس يخرج منا بخار ينتشر أمامنا، كنت أتساءل: نحن نشعر بالبرد ويخرج منا دخان، فمن أين جاء؟ وأين النار؟ فإن كانت النار موجودة بداخلنا، فلماذا نشعر بالبرد؟ ما زلنا نمشي، وباليات المدرسة ما زالت بعيدة، العربات طابور طويل، هل هذا كله زيتون؟ ما أكثر الزيتون في بلادنا، الشاحنات تطلق تزميراً متواصلاً وتريد المجاوزة، الدخان يخرج من ورائها كثيفاً أبيض، أو أسود، الشاحنات معبأة زيتونا أسود تتساقط منها حبات هنا وهناك

كلّما ترجرجت واهتزّت عرباتها، فتدوسها العجلات وسنابك الحيوانات، المعبّد زيتون مرفوس ونوى مهروس، قطرات الزيت تلمع تحت شعاع الشمس الذي وصل إلى الطريق، العربات الميكانيكية والجرارات، الشاحنات لحقت الآن، تريد مجاوزة العربات البطيئة الثقيلة، كان تزمير المنبهات ذا أصوات مختلفة، وذا طبقات عديدة، وألوان متنوعة، وجلبة وصياح، ونهيق وصهيل، وشخير المحركات، وهدير السيارات، وطققة العجلات الخشبية الكبيرة، وقزقة الحديد على الحديد، وصياح الناس، ورنين نواقيس الدراجات والدراجات النارية ؛ موسيقى غريبة جديدة، محببة للنفوس، يتمنّى الإنسان الاستماع إليها ويرجو النظر طول التمتع فيها، عمل حثيث ونشاط كبير وحركة دؤوب، إنّها بداية النشاط والحياة والسعي والعمل.

الطايبور لا ينتهي، والزيتون لا ينتهي. أسابيع كثيرة ونحن على تلك الحال، زيتون، زيتون، زيتون، عربات وزيتون، شاحنات وزيتون، جرارات وزيتون. الأرض زيتون، الجو رائحة زيتون، نحن ناكل الزيت الطريّ القاصح، والزيتون المملح بالخبز الساخن، لذة وأية لذة، دواء وأي دواء، طاقة وأية طاقة وقضاء كامل، وشفاء عاجل، أبي وعمي وعمتي يملكون الزيتون وكذلك جارنا وخالي وخالتي.

كنت الملح أبي كل صباح باكرا، قبل الانطلاق إلى عمله يشرب كأسا صغيرا من الزيت الصافي الزلال، يزقه زقا دون أن يزّم على شفّتيه أو يغمض عينيه، فاشمئزّ أنا مكانه، يقشعر لحمي عوضه، لكنّي عرفت فيما بعد لماذا لا يمرض أبي أبدا، ولماذا ما زال يعيش سالما معافى فوق التسعين، لا يعرف الطبيب، ولم نتذكّر ولو مرّة واحدة عاده الطبيب أو ذهب إليه، وكنتُ كلما مرض أحدا يجبره على شرب الزيت، مع عصرة من ليمونة صفراء، وكان يحلو له أن يدهن لنا صدورنا، ويفرك ظهورنا، ويببل شعونا بالزيت والليمون، ويدثرنا بكل ما يملك من أغطية، فنصبح وكأنّ لا مرض بنا، كان يردد على مسامعنا هكذا كان يفعل أبي وجدّي، كان بيتنا لا ينقطع عنه الزيت يوما، وكان الزيتون المملح لا ينفد أبدا، وهو

يملا الجرار في بيت الخزين، حطب الزيتون لا ينتهي، وكانت الفيتورة وهي فواضل الزيتون، نتخذ منها نارا للتدفئة ليالي الشتاء القارصة. وكان صابون الزيتون يملا رفوفنا من موسم إلى موسم.

رفعت رأسي إلى أخي الأكبر الذي كان في القسم الأعلى، فلما نظر إليّ سألته :

- إلى أين يذهبون بهذا الزيتون ؟

أجابني إجابة المتأكد من نفسه :

- إلى المعاصر في المدينة.

أه، صحيح تذكرت الآن، أخذنا معلمنا يوما إلى جولة في المعاصر، زرنا يومها معصرة قديمة، حجرية، تدور رحاها الصخرية الضخمة بالبغل، كان المعلم يفسر لنا طريقة العصر، ببغل الطاحون موثق من جنبه بعصا فوقه، هذه العصا مربوطة بقوة في صخرة مستديرة الشكل، واقفة فوق صخرة قاعدية أسفلها، كلما دار البغل دارت معه الرحي، فتضغط على الزيتون، وتعجنه عجنا وترفسه رفسا. حتى يسيل دمه زيتا براقا، تذكرت ساعتها كيف كانت جارتنا ترفس الزيتون برجليها في قصعة كبيرة الحجم، ثم تصفيه وتضعه في قوارير صافيا لماعا. نورا على نور.

قال لنا المعلم : هذه طريقة تقليدية قديمة أكل عليها الدهر وشرب، لننتقل الآن إلى معصرة ميكانيكية كهربائية سريعة، ولما وصلنا شرح لنا عمليات الرحي والعصر والتصفية، فشاهدنا الزيت وهو يجري في قنوات كالذهب الأصفر البراق، ثم ينصب في صهاريج كبيرة وعديدة، رأينا الشاحنات تملأ خزاناتها، فلما سألناه قال : هذا الزيت يشحن إلى الموانئ ليوزع على العالم، كانت فرحتنا يومها لا توصف.

الطريق يزداد اكتظاظا وحركة، ونشاطا، شرطي المرور يصفر دون انقطاع، والضباب نراه في الأفق ينقشع ويتبدد رويدا رويدا، تمرقه أشعة الشمس التي تتسلل من بين الغيوم السوداء

الداكنة، متبهات السيارات والشاحنات، رنين النواقيس، وطققة العجلات الخشبية ذات الإطار الحديدي والتي تعجبني كثيرا : كلها مجتمعة يصدر منها إيقاع حلو وأوزان رتيبة مرة، ونشاز مرة أخرى، وفي بعض الأحيان أصوات متنافرة، ليست كرهبة للنفس إنها سنفونية الحياة.

كل الطرق المؤدية إلى صفاقس - ما أكثرها - تعج وتزدحم وتتراقص شاحنات وجرارات وعربات وسيارات مثقلة زيتونا، هذه الطرق كأصابع اليد تصل إلى الكف بل قل أشعة متوزعة شمالا وغربا وجنوبا تنطلق من الشمس التي هي مدينتي الحية النشيطة، فوق الأرض ذهب أصفر وتحت الأرض ذهب أسود وفي البحر سمك وحياتان، وفي المدينة رجال لا يعرفون للتعب معنى وللراحة وقتا.

كان التلاميذ يمازروهم الزرقاء والسوداء والوردية. ومعاطفهم الدكناء يملؤون حاشية الطريق يمينا وشمالا، وكان العمال يحثون القطي نحو أعمالهم. وكانت الدراجات والدراجات النارية لا يحصى لها عدد، خفيفة رشيقة، تمرق بين العربات والسيارات بسهولة. وكنت أنا في بعض الأحيان وأنا أنظر هذا الطريق العجيب أتية في حسابات خاطئة / فلا أعرف شمالي من جنوبي، ولا شرقي من غربي، وأنا أتبع إخوتي تماما كالحمل الذي يركض وراء أمه، تراني أنظر ذات اليمين وذات الشمال، لا يفوتني شيء إلا وتمعننت فيه، وساءلت نفسي عنه.

الآن أصبحت الحرارة تسري في جسدي، من جرأ المشي والحركة. لاحت لي المدرسة من بعيد، فكرت في الدروس والواجبات والعقاب، وتراءت لي مسطرة المعلم الخشبية الغليظة الموجهة، فتمنيت لو أوصل السير مع الطريق الأسود الطويل حتى أرى أين ينتهي.

الصادق الوكي

## وقف

في ظلّ شجرة الزيتون  
العتيقة " راح يجيل  
بصره في أنحاء بستان  
الرمّان " أمعن النظر في خطوط  
الحرث المستقيمة المتوازية " رأى  
جده محمد الصغير متكئا بالعرض  
وسط ساقية يابسة وقد التفّ في  
برنسه ووضع ساقا على ساق في  
حين انتشر العملة فوق خطوط  
الحرث منحنيين كنقاط الاستفهام ..

## نقطة تعجب آخر السطر « ! »

كلّ واحد يمسك مسحاة يرفعها ويهوي بها يفتّت الطوب... ثمّ  
يتوكأ عليها بيد ويضمّني يستلّ بيده الأخرى عروق النجم  
والأعشاب الطفيلية.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بعد أن أفرغ مصباح من حراثة الأرض وفكّ المحراث وربط  
البغل المتصبّب عرقا إلى جذع شجرة خروب عالية في أطراف  
البسان .. ارتجفت يده اليسرى وضغطت أصابعه على الكتاب  
والكرّاس وهو يهمس لنفسه :

« أيّ قصيدة هذه التي أقرؤها على صفحة التراب البنية  
الداكنة ؟! لكم هي رائعة وقد انتشرت كلماتها متناغمة على  
سطور الحرث تتخلّلها نقاط استفهام ونقاط تعجب تتضاءل حيناً  
وتتعاظم آخر !! لكم هي رائعة ومثيرة ومدهشة لوحة هذا التجلي  
التي بدت فيها خطوط الحرث المتوازية، وقد توزّع عليها العملة  
حروفا موسيقية مبعثرة على سلّم متعدّد الخطوط تسمع لها صدى  
لحن سنفوني يتماوج في فضاء وفاق الكون كلّ دافقا فيضاً عجباً  
من قرارة روح الوجود ممتداً من قديم الأزال إلى أبد لا يدرك..



ملا رثتيه مرأت من هواء الصُّباح الخريفي النَّدي فانتهت  
إلى أنفه رائحة الشَّاي تتصاعد من حفرة صغيرة أحيطت بسياج  
واظمء من التراب لمنع النَّسمة الباردة الَّتِي كانت تهبّ من جهة  
الشَّمال من أن تتلف الجمر في أقلّ ممّا يجب من الوقت لطبخ  
الشاي ثلاث مرأت ..

اتّجه نحو خيوط البخار والدخان وهو يلقي تحية الصُّباح  
على العملة الّذين ردّوا على التَّحية بأحسن منها، جلس القرفصاء  
وأمامه حفرة النّار الصّغيرة، وضع إلى جانبه كتابه وكراسه  
الّذين كانا رفيقيه الوحيدَين في نزّهته الصُّباحية في النّواحي  
الأخرى من الحقل، قال يخاطب مصباحا متودّدا :

- أأنت الّذي يعدّ الشاي كالعادة يا مصباح ١٩

ردّ مصباح بصوته الرّخيم الدّافئ :

- نعم ، كالعادة ، وإنّه ليس كمثّل شايب شيء ..

ضحك وعقّب مازحا :

- سبحان الله ! أنت دائما لا تتباهى بشيء أكثر ممّا تتباهى

بشايك !!

أرسل مصباح ضحكة تموّجت في الفضاء دفءا وهو يقول :

- إنّ شايب هو البنزين أو ما شابه البنزين ، يداخل الدّم ،

ينشّط الأعصاب.

استرسل معه المداعبة مضييفا :

- وبدونه تظلّ تعاني وجع الرّأس يا مصباح ١٩ وتظلّ تعاني

ثقل رموشك ١٩ أليس كذلك ١٩

- تماما ، تماما ..

تعالت ضحكات العملة فاترة ، متعبة ، حتّى جدّه المتكئ في

آخر السّاقية اليابسة كنقطة آخر السّطر ضحك هو الآخر ولكن

بصوت أكثر امتلاء وهو يكلمه :

- إن شاي مصباح لا يصلح لك يا ولدي !! فانت شاب ناعم ..  
هش ..

فقال مصباح مباهايا :

- أمّا أنا فمعدتي قد دبغها الشّاي منذ سنين .. دبغها الشاي  
المعتق ..

فضحك حامد ملء أضلاعه وهو يردد :

- أعوذ باللّه .. أعوذ باللّه ..

أخذ حامد بركّاد الشّاي بيده اليمنى وتناول بيده اليسرى  
كأسا صغيرة قد علق بها بعض التّراب .. وضع البرّاد على الأرض ..  
رفع غطاءه .. عرض الكأس مقلوبة إلى أبخرة الشاي المتصاعد ..  
عاد فردّ الغطاء .. رفع البرّاد عاليا وهو يعيله قليلا .. خرج الشاي  
أحمر ساخنا يجري من إبزيم البرّاد وينسكب في الكأس التي  
أمسكها واطئة بيده الأخرى .. ظلّ يملأ الكأس ويعيد الشاي في  
البرّاد مرّات إلى أن ابتزّاد الشّاي وصار دافئا مستساغا فعلا  
الكأس لآخر مرّة .. وضعها أمام عينيّه يتأملها كالمتعجب نصفها مليء  
شايّا أحمر والنّصف الآخر مليئٌ بغاء وفقاقيع تلمع تحت أشعة  
الشمس .. وضع حافة الكأس على شفّته السفلى واجتذب رشفة  
طويلة محدثا ما يشبه الصّفير .. تلعّظ مستمتعا بنكهة الشّاي  
اللّذيذة .. قال مزهوا مداعبا :

- ما رأيكم يا جماعة ؟! ها إنّي قد ارتشفت كأسا كاملة من  
هذا الشّاي .. لذلك أراني أظنّ أنّ هذا الشّاي لا يليق بمصباح ..  
فمصباح لا يشرب الشاي الذي تتقبّله معدة كمعدتي الهشة  
الطّرية .. لقد قال ذلك منذ حين !!

تعالت الضّحكات وقال الجدّ معتزّا :

- إنّها لحجة ذكيّة وإنّها لبرهان قويّ !!

في حين ضحك مصباح وقال بصوته الرّخيم وقد أخرجت  
الحجّة الدامغة وبدا عليه الخوف من الهزيمة أمام الجماعة :

- لا ، لا ، إنا حجة واهية ، وعلى كل فإنني لا أتنازل عن  
كناسي حتى وإن كان ذلك لك أنت يا سي حامد ،

انتشرت الضحكات في كل بستان الرمان ، وقف حامد وفي  
يديه البركاد والكأس ، راح يسقي الجماعة واحدا واحدا ، انتهى  
إلى جدّه ، ناوله كناسا وهو يداعبه بكلمات كان يمكن أن يكون لها  
عاقبة وخيمة لو جاءت في غير هذا المطلّ وخارج هذه اللحظات  
المضحكة رغم ما كان يبذلها من عرق ويتخللها من تعب :

- الآن دورك يا جدّي ! فالمستريحون آخر من يحقّ لهم أن  
يرتشفوا الشّاي ،

أخذ الشّيخ الكأس وارتشف الشّاي في غير ما مبالاة بل لقد  
كان يبتسم وهو يردّ على حفيده مازحا :

- ألم تكن أنت أول من ارتشف الشّاي وأنت من  
المستريحين ، وإن الحديث الشريف .

حامد كأنّه يبعد عن نفسه نعمة ثقيلة ولكن في أدب ولطف :  
- من قال يا جدّي أنّي من المستريحين ؟! قد كنت أتفقّد  
نواحي الحقل الأخرى ، وأراجع بعض الدروس ، ولقد كتبت  
قصيدة جديدة ، أليس هذا عملا عظيما ؟! أليس هذا جهدا كبيرا ؟!

- فعلا ، فعلا ، أنت نشيط دائما ، ولكن ألا يشغلك عن  
دراستك ؟! أم أنّك تريد أن تبقى مثلهم تهيم في كلّ واد وتقول ما  
لا تفعل ؟! إنّ التّعليم الثانوي يتطلّب أضعاف ما بذلته في  
الابتدائي ..

ضحك حامد وسرعان ما جمع كلّ طاقاته وعدّة بيانه وقال  
بجدّه المعهود :

- كلّآ يا جدّي ! إنّك ربّما لا تتصوّر مدى شقائي وسعادتي معا  
وأنا أكتب القصيدة ، القصيدة عندي تساوي الدّنيا وما فيها ،  
إنّني لأهدم الكون بقصيده ، وإنّني لأبدع من أنقاضه بكلّ قصيدة  
وجودا أجمل وأكمل ، فهل هناك بعد هذا من سعادة أخرى ؟!

- إِنَّكَ لَمَتَعْت لدرجة الكفر يا ولدي ، وعلى كلّ فليوفقك  
اللّهُ تعالى ، أَمَّا الآن فاهرب ، جازاك اللّهُ خيرا، فخذ البغل  
واسقه الماء، فهو بحاجة إلى أن يشرب ..

أخذ حامد الكأس من يد جدّه واتّجه إلى حفرة النّار الصّغيرة  
وهو يقول له كمن يريد أن يؤكّد انتصاره :

- هكذا دائما أنت يا جدّي ، تبدأ النّقاش وتتحلّى، كعادتك  
دائما يا جدّي ،

ملا حامد ثلاثة كؤوس صغيرة من الماء وسكبها في البرّاد  
الَّذي وضعه على الجمر الملتهب، ثمّ أخذ قرطاس السكّر فملا كفّه  
مرّة أولى ، ثمّ ثانية ، كان في كلّ مرّة يسكب فيها السكّر في  
البرّاد تتساقط من كفّه حبّات صغيرة فوق الجمر فتحترق مصعّدة  
رائحة السكّر المحروق مرّة ثانية ولمدّة أطول ، ثمّ تناول كتابه  
وكرّاس أشعاره واتّجه إلى البغل ففكّ وثاقه وركبه إلى حوض  
الماء حيث تركه يشرب ويكرع وهو باق على ظهره حتّى امتلأ بطنه  
ورفع رأسه ونفض منخريه وشاربيه الفلّيطلين فجذب حامد عنانه  
وساقه إلى مربطه حيث ينتبهي له أن ينتظر إحصار وجبته الأولى  
من الشّعير والتّبّين <http://Archivebeta.Sakhril.com>

عند المربض قفز حامد من على ظهر البغل .. وضع كرّاس  
أشعاره وكتابه إلى جانبه قرب قائمتي البغل الأماميتين وقرص  
.. تناول القيد الحديدي الذي كان على الأرض ، شدّ به قائمتي  
البغل الأماميتين إلى بعضهما ، شدّ القيد بحبل طويل من اللّيف  
إلى وتد حديديّ غليظ مثبت في الأرض وسط الرّوث والنّراب، ثمّ  
وقف وانصرف يصفرّ وينطّ كالجديّ جذلا وسعادة إلى أن عاد إلى  
حقل الرّمّان فتناول المسحاة من يدي مصباح وطلب منه أن يخلد  
قليلا إلى الرّاحة قائلا :

- هات المسحاة واسترح أنت قليلا ! إنني أراك قد تعبت  
كثيرا ..

ردّ مصباح وهو يناول المسحاة :

- ابن حلال واللّه .. ولكنّي أخاف على كفيك اللّينتين أن تتقرّحا ..

- لا عليك .. إنّني ريفيّ مثلك .. ريفيّ رغم أنف كلّ المدن ، ورغم أنوف أباء وأمّهات المدن .

راح حامد يرفع المسحاة عالية ويهوي بها على الطّوب الذي كان يتفتّت تحت ضرباته محدثا صوتا كصدى انفجار لغم بعيد في أغوار الأرض، ومصباح يتابعه بنظراته الودودة ويقول :

- إنّك لريفيّ حقًا، وعن جدارة ، ورغم ولادتك ونشأتك في المدينة ففي ساعديك فتوة الرّيف ..

عندها جاء صوت الجدّ صارما معاتبا :

- خذ منه المسحاة يا مصباح !، كفاك تنصّلا وتكاسلا ..!

اغتاظ حامد وتحایل من أجل أن يستريح مصباح مدّة أطول فقال يخاطب جدّه :

- كلّ يا جدي !.. كلّ .. إنّني أحبّ أن أجربّ تعبهم، وأحبّ أن أتبلّ بعرقهم مثلهم، وأجربّ كيف يضيق الصدر تعبًا، وأرى كيف يلهث الرّجل فتتلاحق أنفاسي مختنقة ، متعبة ...

قال الجدّ بصوت أقوى وأشدّ حزمًا وحدة :

- هذا أمر فوق طاقتك، قم إنّ كفيك قد خلقنا للقلم والكتب لا للعمل والتراب، فأرحنا من تعبك وليبارك لنا اللّه فيك ..!

كان مصباح في الأثناء يحاول أن يأخذ المسحاة من حامد لكنّ حامدا زجره في لطف وطلب منه أن يتفقد برآد الشّاي ، فانصرف عنه متّجها إلى حفرة النّار الصّغيرة، وما كاد مصباح يقترب حتّى اشتّم رائحة الشّاي المحروق فأسرع ورفع البرّاد. ثمّ وضعه على الأرض ورفع غطاءه فتصاعد منه دخان كثيف صاح مصباح مستاء :

- قد احترق الشّاي، تغافلنا عنه فوق النّار إلى أن احترق !!

علّق حامد مازحا :

- خسارة ! يا للخسارة !!

في حين تلمل الجدّ في مكانه ونفض أطراف برنسه وصاح :  
- اترك البراد يا مصباح وعد إلى عملك، إنّ حامدا طفل لا يصلح إلاّ للأقلام والشعر والكتب..

تذكّر حامد كتابه وكرّسه ،، تذكّر بعد لاي أنّه نسيهما قرب البغل ،، ألقى المسحاة وقفز يجري .. راح يقفز فوق السواقي والطوب والشجيرات الصغيرة وينعطف يمينا وشمالا بين صفوف الشجر إلى أن وصل إلى مربط البغل .. أمعن النّظر لاهثا في منبسط الروث والتراب اللّذين سحقتهما حوافر البغل .. رأى فتات ورق، أخذ واحدة منها بإصبعيه ووضعها في كفه يتأملها جيّدا ،، صاح مستاء حزينا متأسفا ،، أحسّ بحرقة لاهبة تجتاح صدره.. صدّ عينيه من الألم والأسى وترك كفه تهوي كالغصن المكسور وهو يتمتم : « لعين أنت أيّها البغل ! ولعين أبوك أيضا ! يا للمصيبة ! قد أكلت كرّاس أشعاري، أكلتها أيّها البغل ! فهل تدري ماذا فعلت ؟! هرسيت كبدي، وأكلت شرابيبي وكلّ أحشائي ،، أكلت سهري اللّيلي الطويلة المصنّية »  
<http://www.alarabianet.com>

مسح حامد جبينه المتفصّد عرقا ،، مسح بكفيه وجهه الذي دكنت سمعته من فرط حزنه على أشعاره،، قال يخاطب البغل :

- إنّك لمعذور .. فالذنّب إنّما هو ذنبي لا ذنبك . ولكن ما حكمتك في أكل أشعاري ؟! قل لي ما حكمتك في ذلك كلّه علّني أواسي بها نفسي التي سحقتها بلا شفقة ..؟

رفع قبضته ولوّح بها في الفضاء في وجه البغل فانتنفض البغل مذعورا رافعا رأسه وقائمتيه الأماميتين المقيّدتين، توتر الحبل اللّيفي وتخلخل الوتد الحديديّ المثبت في الأرض ،، قفز حامد إلى الوراء خائفا مذعورا. طأطأ رأسه قليلا ثمّ انصرف يجرّ قدميه الثّقيلتين وعاد إلى بستان الرّمّان وهو يسلي نفسه متمتعا :

« ربّما كان البغل على حقّ ؟، فهو بذلك يدعوني إلى البداية من جديد، فلانطلق من البداية مرّة أخرى، إنّنا لا نغادر البداية أبداً، كلّ محاولة جديدة إنّما هي بداية أخرى، ربّما كان البلغ محقّاً فيما فعل !! وربّما هو الجوع الذي دفعه إلى التهام الورق، فطحن كرّاس الشّعر والكتاب بأضراسه طحنا دون أن يبالي بحروفي وكلماتي وآمالي وأحزاني، التهم كرّاس أشعاري دون أن يبالي بي .. إنّ البهائم لتحب التهام الورق والكاغذ تدفعها إلى ذلك غريزتها وفطرتها الغافلة ..

تهاوي يائسا حزينا قرب حفرة النّار الصّغيرة، ظلّ ينظر إلى البغل من بعيد شاردا مع خواطره وأحزانه.

سأله جدّه :

- لماذا رميت المسحاة منذ حين ومضيت تعدو كما لو كنت تطارد شيئا ؟ فما الأمر ؟

التفت إليه وردّ في انكسار :

- لقد تذكّرت أنّي نسيت كرّاس أشعاري وكتابي قرب البغل فعدت لأدركهما قبل أن تدوسيهما جوافر البغل وتعبث بأوراقهما الرّيح.

- فأين هما ؟ هل وجدتهما ؟

- لقد أكلهما البغل ولم يبق منهما إلّا بعض الفتات من الورق.. فتأثت صغيرة لا تكاد ترى .. لقد ذهب قصائدي كلّها، أكلها البغل ليرميها في الغد روثا !!

تأسّف الجدّ لحزن حامد، ولكنّه سرعان ما ضحك وقهقه لفعله البغل، قال يواسي حامدا :

- لا ، لا تحزن ! أنت متعلّم وبإمكانك أن تكتب غيرها، وغيرها يا ولدي !

ثم أضاف ضاحكا :

- بل لعلّ البغل قرأها فأعجبته فاستحسن أكلها.

التفت الجدّ إلى البغل البعيد، لم يره، أمعن النّظر ولم يره  
لم يجد بداً من أن يسأل عنه فقال مندهشاً :

- ولكن أين البغل ؟! إنّي لا أراه في مربضه ؟!

والتفت حامد ثمّ وقف ينظر ويجيل بصره، توقف العملة  
عن تكسير الطّوب واشترأبت الأعناق، راحت الرؤوس تدور فوق  
الاكتاف ذات اليمين وذات الشّمال، صاح مصباح :

- إنّه هناك، هناك، يركض حراً طليقاً ...

ومدّ مصباح يده مشيراً إلى البغل الرّاكض في سفح الجبل.

اقترب حامد من مصباح وانضمّ إليهما بقيّة العملة يمدّون  
أعناقهم صوب المكان الذي يشير إليه مصباح بيده الممدودة .. كلّهم  
يشاهدون البغل يركض ماداً عنقه، رافعاً رأسه، رافعاً ذيله، يركض  
كما لم يركض أبداً.. يرتكز بين القينّة والأخرى على قائمتيه  
الاماميتين ، يخفض رأسه قليلاً، يرفع نصفه الخلفيّ عالياً، يطلق  
قائمتيه الخلفيتين وراءه بعنف. ثمّ يجرف الهواء من أمامه مطوّحاً  
برأسه في حركة كبرياء رشيقة ويترسل في ركضه رافعاً ذيله  
ورافعاً رأسه في شبه التفاتة إلى الخلف غير مكثرت ولا عابئ  
بشيء...

ظلّت الأجساد تلتصق بجسد مصباح.. ظلّت العيون المفتحة  
والقلوب الرّاغبة تتابع البغل في ركضه وفي ألعابه الغروسية  
في حين وقف الجدّ في مكانه عند آخر السّاقية اليابسة نقطة  
تعجّب آخر السّطر « ! ».

محمد الهادي بوقرة



## رفع

رأسه عن أحد المقات  
مركزاً مرفقيه على المكتب  
وماسكا صدغيه بين كفيه،  
أرسل تفكيره عبر النافذة نحو  
الفضاء الرحب ليريح بصره ويجهد  
طاقته، قابلته شجرة الكاليبتوس  
الفارعة، تجذبه الى الانشراح، ظهر  
عصفور بين أوراقها يقفز من غصن  
الى غصن يميل رأسه حياله يمنة  
فيسرة، يزقزق كأنه يدعو الى

## تزييف

الطلاقة، الى المرح.

ابتسم له من قلبه رغم الظرف. تيار الحملة يسيطر عليه  
فالدعاية للانتخابات انطلقت بعداً لكنه يتحاول الابتعاد عن  
سيولها، يتملص من خيوطها، ويتهرب من الزوبعة، لا يغادر  
مكتبه إلا لضرورة استشعر شدة الموجة تلاحقه فخشي أن تطرق  
بابه.

عاد إلى تصفح وثائق الملف وغاص في الدراسة، سبابت  
تقفز بين أضرار الآلة الحاسبة... يضرب ... يقسم ... يجمع ...  
يطرح. سمع طرقات خفيفة متتالية ثم انفتح الباب فاطل من  
ورائه وجه زميل لمعت صلعته وارتفعت أرنبه أنفه فانفرج ثغره  
عن بسمة عريضة كشفت عن أسنان معدنية طغى عليها بريق  
الذهب، دخل يتمايل في حركة بهلوان، أغلق الباب وراءه وقهقهة  
ثم تهالك على مقعد أمام مكتب محمود ورمى له بورقة.

تناول محمود الورقة ورفعها الى مستوى نظره، عرف أنها  
منشور فشرع يقرأ، لما أتى على آخرها وضع مرفقيه على المكتب

وكفيه حول صدغيه، وحقق في وجه الزميل فتلقى العرض.

بقي أسبوع على غلق الترشيحات.. ما رأيك لو نترشح معا لبث يتأمل وجه زميله : أسنانه المعدنية تعيد الى الذهن جولات الملاكمة التي خاضها في شبابه لما كان يرقص على الحلبات، صلفته اللعامة تثبت أقدامه داخل الورشات قرابة الثلاثين سنة قضاها بين المحركات وسط النفط والزيوت والشحوم الميكانيكية بين زملاء في العناء تحت دوي الآلات يصمم الأذان ويفتت الأعصاب، ولكن بشرته مازالت تحتفظ ببقايا فتوة وبعلامح بشر. تنهد محمود وأعرب له :

- يا زميلي العزيز .. لماذا تريدنا أن ننخرط في خيوط اللعبة .. أتجهل الوضع الحالي وعقليات العمال ؟ أترضى أن نستحيل الى وضع بين المطرقة والسندان ؟ دعنا من الانصهار في أتون الفتنة !

تمايل الزميل يمنة فيسرة، أمال شففيه، وارتفعت أرنبة أنفه فأنصح ليكون ترشحنا على مبدأ مواصلة النضال لأجل الصالح العام، لخدمة المجموعة. أعلمنا يوماً لما ربنا الخاصة ؟

تطلع الى زلازل محمود لكنه لم يصطبر فأضاف :

- إذا فزنا بعد الترشح سنضحي بأوقاتنا ونتنازل عن كثير من حقوقنا لفائدة زملائنا ، سنتمسك بالمبادئ مدى مدة المهمة. ألا ترغب في مواصلة النضال ؟

عهدتك تعشق التطوع لخدمة المجموعة !

حسب محمود أن زميله مازال لديه ما يضيف فلبث ينتظر البقية لكنه قرأ في عينيه التلهف للجواب فوافاه بما يختلج بصدرة :

- مقترحك وجيه.. لكن مهما قدمنا من جهد وتضحيات فسنظل دائماً في نخل الزملاء مقصرين. ذك مالمسته في تجاربي السابقة ولن تنغم من الوضع غير المشاكل وراء المشاكل !

... أرجوك أن تعفيني هذه المرة من الترشح .. لم يعد لدي أي استعداد للقيام بالمهمة على ما يرام. لن أقدر أن أتحمّل مشاكل العمال أمام تعنت الإدارة وضغوطاتها، أرحني من هذه الأمانة التي لمح.. أيعجبك ما يردده الشواش هذه الأيام :

كل من يترشح لتمثيل العمال لاتهمه إلا مصالحه الشخصية.. الأفضل أن نتجنب الاندماج في مناورات خطيرة ولنبق على حدة محترمين مطمئنين لكن إن أردت أنت الترشح فلن نبخل عليك بالمؤازرة.

صاح الزميل منتفضا :

- لا يا أخي .. لن أفعلها .. أقدم على لعبة أتحوّل فيها الى كرة بين الأقدام .. لن أترشح ما دمت أنت بعيدا عن الميدان ولنبق الاثنان متفرجين .. هيا .. مع السلامة .. تبقى بخير.

وقفز من أمام محمود كأنه كان محبوسا فاطلق سراحه وراح في سبيل حاله خفيف الخطى.

شعر محمود بكثير من الارتياح لاقتناع زميله بآرائه. وفرح لتخلصه من مغريات اللعبة. لكنه يخشى لو استهوت أو أثر عليه أحد الاطراف وجّره إلى ميدانها. لبث يسير في الظل بعيدا عن موجة الحرارة حتى تتجاوزّه فترة الغليان وحضر بذهنه واقع الطبقة الشغيلة. قبل أسبوع شهدت الورشات أخبارا جديدة. يتساءل العمال يوميا : متى ستجري الانتخابات ؟. لماذا تأخرت عن موعدها ؟.

لم يلبثوا على تلك الحالة طويلا إذ ورد عليهم منشور من جامعتهم يحسم الأمر، يحدد موعدا نهائيا لا رجعة فيه.

منذ شهر علقت قاضعات تحمل أسماء العملة الناهجين. كنت ترى في كافة الورشات من حين لآخر بعض العملة واقفين أمام ألواح المعلقات يتساءلون :

... هل عثرت على اسمك ؟

... هل ثمة ترتيب في الأسماء ؟

... الأفضل البحث حسب الأرقام.

ويبدون الملاحظات .. يدرشون.. بعضهم يبتسم والبعض يضحك أو يقهقه تراهم يحدقون في الأوراق .. يبحثون مثل الأطفال عن أسمائهم، يصيح أحدهم :

... ها هو ذا اسمي .. فيصل العرجوني ( يقهقه) يعثر آخر على اسمه فيضع عليه سبابته ويبتسم معلنا :

... ها هو ذا اسمي أنا أيضا.. لكنهم أخطأوا في كتابة لقبى .. كتبوا العلويني عوضا عن العلويني. كذلك ترى العملة يقفون أمام المعلقات ينتهزون الفرصة لاغتنام بعض الوقت من الراحة. كذلك يستغلون الظرف للتشاور والتحاور حول المترشحين لتمثيلهم ! فما إن تهب رياح الانتخابات حتى تشتعل نيران التحالفات فترى الفرق تميل ميل الأغصان منها ما يتعانق ومنها ما يتفارق. وتصلك الهمسات والوشوشات : أولئك دستوريون هؤلاء ديمقراطيون .. أولئك شيوعيون .. هؤلاء نقابيون خالصون لا ينتمون لأي تنظيم.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مرَّ أسبوع الحملة على محمود ثقيلًا لا يطاق. عاشه على أعصابه في صراع بين هوايته وضميره. هوايته تدعوه الى الانخراط في اللعبة. جو الحملة يغريه ، بروح على نفسه بتلك اللقاءات وذلك الجري. وذلك التبييت للتشاور والتحاور ولك الجلسات والاجتماعات كل ذلك تعود عليه ووجد فيه متعة، تختم بالنشوة العارمة إذا نجح. أما ضميره فكان يلح عليه أن يبتعد عن الجحيم، أن يتمسك بموقف التخلي الى النهاية، فلا يترشح مهما كان الوضع، لأنه جرب كثيرا، تحمل المسؤولية مرارا ولم يخرج في النهاية إلا بنتائج مريرة. كانت المسؤولية ثقيلة فكان العمل مضنيا ظل دائما يعمل بين المطرقة والسندان لا الإدارة رحمته ولا العامل أعذره الإدارة تهمة مصلحتها والعامل تشده منافعه.

بلغت الحملة مطافها الأخير فالיום آخر أجل لتقديم

الترشحات تنفس محمود الصعداء فتخلص من صراعه الداخلي، سيكون غدا ضمن المتفرجين على اللعبة، هانيء البال، منشراح الصدر مرتاح الضمير، حمد الله وردد حكمة العصفور الغالت من القفص : حريتي لا تشتري بالذهب.

غاص في محتويات الملف يقرأ الفقرات.. يعيد القراءة وسبابته تكاد تضغط على أزرار الآلة الحاسبة، كاد يرفع رأسه ليعانق الشجرة ويحاور ذلك العصفور. لكن متتالية تتالت على بابه، انفتح الباب فأطل عليه وجه نقابي يبتسم. حدق فيه قليلا ثم أطبق الباب وتقدم فقام له في صيغة من اللوم :

- مالك لم تترشح .. ألا تريد أن نتعاون على الحمل ؟

أترضى أن تدعني وحدي أعاني الأمانة !

وضع محمود مرفق يمينه على المكتب وكفّه على صدغه أطرق قليلا، ثم رفع بصره يتأمل وجه زميله : جبهة عريضة تعلوها موجة من الأسود والأبيض، عينان كستنائيتان هادئتان، أنف مستقيم مثل استقامة صاحبه، بشرة قمحية.

تنهد من أعماقه ثم أجاب :

- ملكت المسؤولية.. كرهت العمل النقابي، أولئك الأصوليون جعلوني أكره المسؤولية وأتجنب ذلك العمل. أفضل الإنسحاب وأحبذ الابتعاد فكفاني ما عانيت !

علق المسؤول في حماس شديد :

- أبدا .. لن أقبل منك الانسحاب .. مجموعتنا لن نستطيع العمل دون حضورك !

ودفع اليه بمطبوعات الترشيح ، وأردف :

- المجموعة أوفدتني خصيصا إليك اعتمادا على علاقتي الجيدة بك فلن أعود اليهم إلا بترشحك.. لن أقبل منك أي اعتذار .. عليك أن تكون معنا في السراء أو في الضراء.. لا تطل التفكير.. لا ترغمني أن أقسم عليك .. هيا .. لا تضع علينا الوقت.

تناول محمود المطبوعات وشرع يملؤها. ماذا أصابه ؟ هل تخدر بكلام زميله الصديق ففقد وعيه. كم فترات كثيرة من عمر الإنسان يفقد فيها وعيه فيرتكب الحماقات أو يقع في الزلات أحيانا يتعرض فيها لحوادث قد يستحيل بعدها الى معاق أو مختبل أو ربما تؤدي به إلى هلاك. هل أقدم على الترشح بتقدير للعلاقة والصدقة ؟ مهما كانت الخفايا فإن محمودا قد ملا المطبوعات بكل هدوء وناولها صديقه قائلا :

- تفضل .. دعني معكم .. يشرفني أن أناضل في صفكم في سبيل اخير من أجل المبادئ والقيم.. يعز علي التخلي عنكم.. بلغ تحياتي الى الإخوة إلى الامام .

راح الزميل الصديق يحمل الميثاق، يذف البشري الى مجموعته بينما لبث محمود يفكر : هنيئا للهواية بانخراطي في اللعبة، سأعيش مراحل الحملة بما فيها من مغريات منذ الليلة ستم الاتصالات. ستعقد الجلسات للتداول والتشاور. أما التبييت فسيكون سيد الموقف لكن ضميمي المسكين سيتعذب.

سأعاني من التقلبات سأحمل الاستفزازات والاحراجات. كم حاولت الابتعاد لكنني وقعت أخيرا، دون وعية في لب المعمة في خضم التيار.

في صبيحة يوم الغد علقت قائمة المترشحين، فظهرت تحمل أضعاف العدد المطلوب، لأعضاء الهيئة الجديدة، وبرز بين الأسماء رسم معروف بخوض الحملات. له تجارب في الدعايات. تدرب كثيرا في فن التبييت. ما إن ظهر اسمه حتى بدأ يصول ويجول : يسهر كثيرا ويرقد قليلا ينتقل من سيارة إلى سيارة، يتحول من مقهى إلى مقهى. يدق الابواب يقدم الوعود، يربط بين مترشحين وناخبين، يساهم في الانفاق على البسطاء، وفي الدفوعات إلى الانتهازيين هو مسؤول حاليا في أكثر من منظمة وعضو في أكثر من جمعية، همه البروز والشهرة.

سيسيطر سيطرة تامة على الحي الذي يسكنه، يبذل الجهود لقضاء شؤون ساكنيه، أما شؤون الخاصة فلا تتعطل ولا تتأجل.

ما إن ظهر اسمه حتى شرع يخطط للحملة، يربط الخيوط، ويسدي التوجيهات يدعو داخل المؤسسة وخارجها. ركز دعايته على الاتصال ببعض الرموز المسؤولة مرددا بين الحين والحين : سأفوز. سأفوز مهما كانت الظروف !

تطلع محمود الى قائمة المترشحين حيث ورد اسمه في رأس القائمة فتساءل : ما سر هذا الترتيب.. إنها مراوغة دون شك .. إذ لا يمكن أن أكون في رأس القائمة دون مبرر لا من ترتيب الحروف الهجائية أو الأبجدية ولا إعتبارا لتاريخ تقديم المطلب.. ربما هذا الاختيار يسهل لي الفوز.. فالناخب لا يبدأ بالتشطيب من أول وهلة.. لعل مسؤولا يحبذ فوزي قد وضعني في القمة وغالبية العمال عهدتهم يولونني المودة والتأييد.. ألا تكون مجرد مظاهر ؟ ألا أكون أحق في فضاء الوهم ؟

مرت الحملة وعقبتها الاقتراعات ومحمود ما انفك يسير في الظل، يتجنب الأضواء ويتحاشى الفتن فعند أن اشتعلت نيران التحالفات وارتفعت حرارة الصلة وهو يغوص في محتويات الملفات يبحث ويدرس تارة يضع مرفقيه على المكتب وكفيه على صدغيه وتارة يتصفح الوثائق فتترفع سبابته عن أضرار الآلة الحاسبة : يضرب .. يقسم .. يجمع .. يطرح .. لكنه يرفع رأسه في مناسبات يتأمل شجرة الكالبيبتوس ويتطلع الى ذلك الرفيق العزيز : ذلك العصفور الذي صار له بمثابة الزميل. طفق يغوص.. يغوص .. يغوص فإذا بطرقات خفيفة متتالية تنتشله من عمق أخضم. أطل عليه وجه ذك الزميل الأول. لم تلمع صلعته هذه المرة ولم ترتفع أرنبيه أنفه .. لم يكشف ثغره عن تلك الأسنان المعدنية ولم يبرق ذلك الذهب اللامع.. لم يتمايل في حركة بهلوان ولم يفلق الباب وراءه ولم يقهقه لكنه خاطب محمودا كأنه يسأل نفسه:

- هل علمت من الفائز ؟

لم يتكلم محمود. إنه لبث ينتظر النتيجة، فوافاه بها زميله في صوت متهدج :

- النقار والزهواني.

أدرك محمود أن النقار هو ذاك الذي له باع وذراع في فن التبييت.

أما الزهواني فهو ذاك الذي ظل كالظل لذلك النقار.

استدار ذلك الزميل وراح في سبيل حاله مرددا :

- تزييف !! تزييف !! تزييف !!

مبروك المناعي

### التشبيه

بالنسبة للبلاغيين هو أسلوب من أساليب علم البيان. وعلم البيان هو «إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة» باعتبار أن الفكرة الواحدة أو الصورة الواحدة أو المدلول الواحد يمكن أن يعبر عنه بأساليب مختلفة كالتشبيه أو المجاز أو الاستعارة أو الكناية أو غيرها.

### التشبيه في حديث أبو هريرة قال :

في هذه الدراسة سوف نحاول الوقوف على مدى حظ كتابة محمود المسعدي - كما تتجلى لنا في كتابه حيث أبو هريرة قال ... - من هذا الأسلوب البياني ألا وهو التشبيه.

#### التشبيه في اللغة :

التشبيه في اللغة هو المشابهة والمماثلة. والمشابهة هي الشبه والشبه أي المثل، وشابهه مشابهة أي كان مثله.

#### التشبيه في الاصطلاح :

التشبيه في اصطلاح البلاغيين هو «صفة الشيء بما قارب أو شاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهات لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه» على حدّ تعبير ابن رشيق.

ويرى البلاغيون أن التشبيه يستدعى طرفين : مشبهاً ومشبهاً به و «اشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو العكس» كما يقول السكاكي .



والتشبيه يقوم على أربعة أركان هي المشبه والمشب به وهما الأصل ويسميان طرفي التشبيه ورابطة لفظية هي الأداة ووجه الشبه. وكل من هذين العنصرين الأخيرين يمكن الاستغناء عنه ولا يضعف ذلك من التشبيه شيئاً بل على العكس من ذلك قد يزيده قوة.

المشب : هو أساس التشبيه أو الركن الأساسي الذي يأتي التشبيه لخدمته وإبرازه.

المشب به : هو الطرف الثاني من التشبيه والصورة التي يراد بها تمثيل المشبه، وعادة ما يكون المشبه به أقوى من الشبه به في الصورة.

الأداة : هي رابطة لفظية، وهي كل لفظ يدل على المماثلة والاشتراك سواء كان اسماً أو فعلاً أو أداة.

وجه الشبه : هو الصورة التي يقصد إلى إثارتها لتوضيح المشبه.

يقسم البلاغون التشبيه تبعاً لأصول طرفي التشبيه من حيث مادتهما ومن حيث تعددهما ومن حيث أفرادهما وتركيبهما عند بعضهم هو من الحقيقة، في حين يعتبره البعض الآخر من باب المجاز، وهناك من اعتبر أن التشبيه شيء والاستعارة شيء آخر. وهناك من اعتبر أن الاستعارة ما هي إلا ضرب من التشبيه.

بعد هذه التوطئة لنطرح السؤال التالي : ما هي حقيقة هذا التشبيه وأبعاده في حديث أبو هريرة قال .. ؟

إن كان ليس من الهين لأول وهلة تصنيف مختلف تراكييب التشبيه في حديث أبو هريرة قال.. وتحديد أنواعها وضبطها، إلا أنه بالإمكان أن نحصي مختلف أشكال التشابيه التي وردت في هذا الكتاب إذ استخرجنا 276 تشبيهاً أو تزيد من مجموع 182 صفحة أي بمعدل تشبيه أو تشبيهين في كل صفحة، هذا من دون حساب التشابيه المكررة التي وردت معطوفة في نفس الجملة أو

في نفس التركيب مما يجعلنا نعتقد في أهمية هذا الوجه من أوجه  
البلاغة في كتابة المسعدي.

عالم المشبه والمشبّه به في حدّث أبو هريرة قال ...:  
أولا : المشبّه :

عالم المشبّهات يشكل في الحقيقة جانباً من جوانب عالم  
الرواية ككلّ، سواء كان ينتمي إلى عالم الأشياء المادية أو المعنوية  
أو عالم الإنسان أو الحيوان، وبالتالي فهو يمسّ شخصيات الرواية  
عموماً وذلك تبعاً لمدى التركيز عليها وخاصة على البطل المحور  
الرئيسي الذي تتمحور حوله الأحداث، كما يمسّ أبعاد وحدود  
الإطارين الزماني والمكاني، وعليه فإنّه بالإمكان حصر دائرة  
المشبّهات في ما يلي :

عالم الانسان : الرجل .. المرأة .. أبو هريرة .. الفتى  
والفتاة .. ريحانة .. ظلمة الخ ..

- ما يتصل بأبي هريرة : صوته ، عينه، دموعه، حزنه،  
ثيابه، بصره، همه، كلامه، روحه، نفسه، عقله، نبرات بكائه،  
جسده، ابتسامته.

- ما يتصل بالمرأة : الجسد، الرجل، العينان، الفم، النهدان،  
الوجه، الشعر، الثياب، الصوت.

- عالم الحيوان : النجيبتان، الفرس، الخيول، الكلب.

- ما يتصل بالحيوان : الخطى، وقع الفرس، لسان الكلب،  
لهات الكلب، حرافر الفرس.

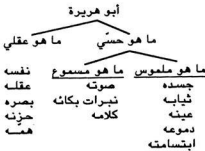
- عالم الأشياء : الكون، الطبيعة، الرمل، المشرق، الماء،  
الهواء، القمر، النسيم، الأرض، الظلام، الليل، النهار، الزمان،  
الريح، السحب، المنحدر، الشمس، النور، الغناء، الرقص، الأحلام،  
الفرح، المزمار، الثياب، الطعام، الصوف.

# (1) عالم الانسان :



المشترك بين أبي هريرة والفتى باعتبارهما يرجعان إلى مرجع واحد ألا وهو الرجل هو كونهما ينتميان إلى عالم المسعدي الروائي. فهما يشكلان شخصين من شخوص روايته، مع الفارق أن الفتى شخصية قانونية جداً تلعب مع الفتاة دوراً ثانوياً هو دور الصدفة التي كانت سبباً في بعث صديق أبي هريرة ثم بعث أبي هريرة نفسه. في حين أن أبا هريرة هو البطل المحوري والشخصية الرئيسية التي تتمحور حولها كل الأحداث والتي تساهم كل الشخصيات أو كل الرواة في الرواية في إبراز جوانبها. شخصية لاقت حظاً كبيراً من الاهتمام من طرف الكاتب أكبر بكثير من الاهتمام بدور الفتى ودور بقية الشخصيات الأخرى. هذا الاهتمام لا يتجلى في المضمون وفي الحيز الذي يحتله أبو هريرة فحسب، ولكنه يتجلى أيضاً في الأسلوب وبالتحديد في التشبيه. وعليه فحظاً أبي هريرة من التشبيه كان حظاً وافراً وهو يتناول الفروع التالية :

ما يتصل بأبي هريرة :



مثلاً يبينه المشجر أعلاه تتوزع الدلالات في ما يتعلق بأبي هريرة وما يتصل به إلى فرعين اثنين : ما هو حسني وما هو عقلي. وهذان الفرعان يحيلاننا على الداخل وعلى الخارج، على ما يمكن إدراكه بالحس وما يمكن إدراكه بالعقل.

وما هو حسن يتفرّع إلى ما هو ملموس وما هو مسموع أي ما يدرك باللمس أو بالبصر وما يدرك بالسمع.

وكل هذه الدلالات وتفرعاتها تصوّر لنا جوانب مختلفة من شخصية أبي هريرة، وهذه الجوانب كأنها غير مكتملة بذاتها مما يجعلها بحاجة إلى أن تتشكل في تراكيب تشبيهية متنوعة.

هذا في ما يتصل بأبي هريرة. أما في ما يتصل بالمرأة ومثلاً يبينه المشجر أعلاه فهي تضمّ ثلاث شخصيات : الفتاة وريحانة وظلمة. الفتاة لا تلعب في الرواية إلا دوراً ثانوياً جداً رفقة الفتى واللذين تصوّرهما اللوحة المغربية في حديث البعث الأول. أما ريحانة وظلمة فلهما أهمية أكبر، إذ إن كلا منهما عرفت أبا هريرة عن قرب ولعبتا دوراً مهماً في إطلاعنا على جوانب هامة من شخصية أبي هريرة باعتبارهما من الرواة ومعن أسند لهما الكاتب جملة من الأحاديث سواء كان مباشرة أو غير مباشرة.

في ما يخصّ الدلالات التي تتصل بالمرأة فهي تتصل بالمرأة عموماً من دون تمييز وهذه الدلالات خلافاً للدلالات المتصلة بأبي هريرة كلّها دلالات حسية بل دلالات لها أبعاد جنسية : الجسد، الثياب، الشعر، الوجه، الصوت، الرجل، العينان، الفم، النهدان.

(2) عالم الحيوان :



ما يشدّ انتباهنا في عالم الحيوان باعتباره مشيهاً أن كلّ هذه الحيوانات هي حيوانات أهليّة وأليفة وهي ما كان قريباً من أبي هريرة وهو يصنع الأحداث، وهو يتنقل عبر مسار تجربته الوجودية ورحلته منذ البعث الأوّل إلى البعث الأخير أو الآخر.

فالنجيبتان هما اللتان اقتاداه هو وصديقه ذات فجر ليضربا في الصحراء فينفتح على البعث الأوّل. والفرس هو الذي حمّله ذات غروب في الجبال لينفتح على البعث الآخر.

والنجيبتان والفرس كما نعلم هي حيوانات تحيلنا على أبعاد المكان الذي نبتت فيه جذور تجربة أبي هريرة والذي اختاره الكاتب كإطار لروايته.

النوع الثالث من الحيوانات هو الكلب، وهو حيوان أليف صاحب أبا هريرة في أحلك أيام حياته وكان بالنسبة له في أحيان كثيرة أقرب من الصديق وأكثر وفاء من الصبيّ.

فيما يتصل بهذه الحيوانات يكتفي الكاتب بالتعرّض إلى الخطى بالنسبة للنجيبتين من دون سواها، والتعرّض إلى حوافر الفرس ووقع خطاه في شعاب الجبل.

أما في ما يخصّ الكلب فلا يشدّ انتباهنا إلّا لهائه ولسانه وهو يلهث وذلك للتدليل على الحرّ الشديد.

إن هذه الحيوانات وما يتصل بها تجذّر أبا هريرة في بيئته الصحراوية العربية الجافة، البيئة العربية القديمة، وكأنّ الكاتب لا يكتب في هذا القرن ولكنّه يكتب في عصور خلت.

### (3) عالم الأشياء :



إنَّ عالم الكون وعالم الطبيعة يتحصر أساسا في شيئين :  
الزمان والمكان، الزمان بأبعاده : النهار، الليل، الظلمة النور الخ..  
والمكان بأبعاده : الأرض، الشمس، القمر، المشرق، المغرب الخ..  
كما يتصل بعناصر الكون والطبيعة بصفة عامة الماء والهواء  
والريح الخ.. ويتصل بها له صلة بالانسان : الطعام، الصوف،  
الثياب، المزمارة الخ..

إنَّ هذه الدلالات بصفة عامة تحليلنا على عالم أبي هريرة أو  
بالأحرى على عالم المسعدي، هذا العالم الرحب رحابة الزمن المطلق  
ورحابة الصحراء الواسعة.

إنَّ عالم المشبهات هذا هو في حقيقة الأمر عالم الرواية بكل  
أبعادها وعالم أبي هريرة الإنسان الأسطوري والانسان الوجودي،  
الذي ينحصر في أبعاد زمانية ومكانية تتلاشى حدودها ممَّا يجعلنا  
نتطَّلَع إلى الداخل أي إلى الذات أكثر ممَّا ننفتح على الخارج.

إنَّ عناصر هذه العوالم وتفاصيلها لو كانت كما هي عليه

لبدت غير مكتفية بذاتها، وهي غير قادرة على إبلاغها ما يريد الكاتب أن يبلغنا إيَّاه. هي صورة حقيقية ولكنها باهتة وجامدة وخالية من الحياة التي يريد أن ينقلها الكاتب لنا ممَّا يجعله يلتجئ حتماً إلى تقنيات فنيَّة ابداعية يبرز من خلالها ما يريد إبرازه بشكل أوضح وأجلى. من هذه الأساليب استعمل الوصف والتشبيه، وكان الوصف غير قادر على نقل ما يجب نقله ممَّا جعل الكاتب يختار التشبيه ليقوِّي صورته وما تنطوي عليه من صفات.

### ثانياً : المشبه به :

دائرة المشبهات بها تشكل عالماً أوسع من عالم المشبهات وعادة ما تكون الصورة أظهر وأجلى في المشبه به منها في المشبه لهذا يأتي المشبه به لتوضيح الصورة في المشبه وإبرازها.

### عالم المشبهات بها :

فيه ما هو معنوي أو عقلي وفيه ما هو ملموس أو محسوس. والمراد بالحس ما يدرك بالحواس الخمس وهو ما يكون من «المبصرات» أو المسموعات أو المشعومات أو المذوقات أو الملموسات أو يكون كلها أو بعضها معاً. كما يكون من جهة اللون وجهة الهيئة ويدخل في الهيئة جل الحركات على حد تعبير الجرجاني. كما يدخل في التشبيه الحسي أو يلحق به التشبيه الخيالي المركَّب الذي ليس له وجود حقيقي في عالم الواقع وإنما له وجود متخيل أو خيالي». أما العقلي فهو ما لا يدرك بالحس ولكن بالعقل ويدخل في العقلي الوهمي والوجداني. وهو ما يدرك بالوجدان من الأحاسيس والمشاعر المختلفة.

### ١ - ما هو حسي :

ويمكننا تصنيفه إلى ما يلي :

- الإنسان أو ما له صلة بالإنسان :

مسّ خفيف - مسّ لطيف النهود - دمة عذراء - العظام -  
الدم المهرق.

- عالم الحيوان أو ما له صلة بعالم الحيوان :

الطبيعة - الذئب وتصور الذئب - حفيف الحية - نقيق الضفادع - الكلاب - لهات الكلب - النمل - الفيل - بغل الطحان - السمك - الثعبان.

- عالم الطبيعة أو ماله صلة بالطبيعة :

رمال الكثبان - رقيق الرمل - لسان الرمل - النسيم - النار - ألسنة النار - لهيب النار - قطعة من نار - الغبار - الرياح - البرد - قطر الندى - سماء - خريف - البحر - رجح الموج - المد والجزر - البحر الساجي - دوي السماء - الجبل يدعو الصاعقة - الرصاص - الربيع - الرعد - الماء يجري - الريحان - الفجر الطاهر - النوء يتمخض رعدا - الفصن - الزقوم.

- ما هو من صنع الانسان :

الرمح - الصنم - الدلو - الفلك - العود - الحرير (لباس) - الرحي - سويقاء المرق - البنيان - الأحجار.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ب - ما هو عقلي :  
اليقين - الخيال - الألمان - الذكر - الغيب - الظلام - العيب - الأبد - الشيطان - الخلق - الروح - النور - الدهر - الإثم - البصر - الفناء - الصراط - الذكرى - الدنيا.

سراب خلب - دخان كاذب - نور مشاع - الاطمئنان الكامل.

السراب في عيني - وجه من الله - ذوب في الهواء - لغو من الأناجيل.

همس الشياطين - جهنم الشياطين - عمى الدهر - راقصات الأساطير - أمواج السراب - نجوى الإنسان - اطمئنان الجمال.

صدى غيب بعيد.



كلّ هذا يقودنا إلى الملاحظات التالية :

في ما يتعلق بالتشبيه عند المسعدي في حدّث أبو هريرة قال ... ومن حيث المادة المتولّدة عن أحوال طرفي التشبيه فإننا نعثر على ما لون طرفيه حسّيين أو مختلفتين أولهما حسّي والثاني عقلي.

إنّ تشبيه ما هو حسّي بحثي يبقى الصورة في دائرة الوضوح «ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة ممّا لا تقع عليه، والملاحظة أوضح من الغائب، وما يدركه الإنسان بحواسه أوضح ممّا يعرفه من غيره » على حدّ تعبير ابن رشيق.

إنّ عالم المشبهات بها يخرج بعالم المشبهات من دائرة أضيق إلى دائرة أوسع. من عالم المحسوسات إلى عالم المسموسات، ومن عالم المحسوسات إلى عالم المعقولات.



1 = ما هو حسّي :

إذا انحصرت دائرة ما له صلة بالإنسان في بعض المشبهات بها كالشمس الخفيف أو كالمس لطيف النهد، فإنّ عالم الحيوان أو ما له صلة بعالم الحيوان فزاه أوسع من دائرة عالم الحيوان في المشبهات. وإذا اقتصر عالم الحيوان في المشبهات على بعض الحيوانات الأليفة فعالم الحيوان في المشبهات بها مس بعض الحيوانات الأليفة (البغل - الكلب...) وكثيرا من الحيوانات البرية والوحشية (الظبية ، الذئب ، الغيلة ، الثعبان الخ...). وعالم الطبيعة أيضا هو في المشبهات بها أوسع منه في المشبهات. فمن النسيم إلى الغبار والرياح والبرد. ومن الماء إلى الماء يجري والبحر ورجع الموج والمد والجزر الخ ... ومن الرمل إلى كثبان الرمل ورقيق الرمل ولسان الرمل الخ... ومن الأرض إلى السماء ودوي السماء والنوء والرمعد. أمّا في ما يتعلق بما يصنعه الإنسان فمن المزمار والثياب إلى الرمح والفلك والعود والصنم والدلو من الخ... وكلّها تدلّ على مدى رحابة عالم الرواية : عالم الصحراء وعالم البيئة العربية، عالم أبي هريرة وعالم تجربته الوجودية.

## 2 - ما هو عقلي :

إنَّ ما هو عقلي في عالم المشبهات بها يمكن أن يتفرَّع  
التفرعات التالية :



إنَّ دلالات هذه التفرَّعات تكاد تكون واحدة فهي تحيلنا في مجملها على المطلق : الذكرى ، اليقين ، الأبد . الغيب الخ... وهي تحيلنا على أبعاد شخصية أبي هريرة، أو أبعاد شخصية أبي هريرة كما أراد لها الكاتب أن تكون. وهي تحيلنا على الحيرة التي تمضيه في ما يتعلق بالإثم والإيمان والإلحاد وفي ما يتعلق بإطلاقية الزمن وانفتاحه على اللامدرك وعلى اللامعقول، وانشغاله بالعديد من المسائل الفلسفية الميتافيزيقية كالخلق واللَّه والروح والشواب والعقاب.

في ما يتعلق بتشبيه العقلي بالعقلي أو الحسي بالعقلي وهو ما لا يدرك بالحس بل بالتأمل وإعمال الفكر وبضروب من التأويل وقد تكون الصورة ممكنة أو وهمية خيالية.

من حيث التركيب، إن وردت المشبهات في مجملها في حالة الأفراد فالمشبهوات بها وردت في كثير من الأحيان مركبة (نحويا وبلاغيا) :

موصوف + صفة : سراب خلَّب، نور مشاع.  
الرمح المصوب.

أو موصوف + صفة : على أن تكمن الصفة مركبا بالحرّ :  
ذوب في الهواء ، لغو من  
الاناجيل، قطعة من نار.

أو مضاف + مضاف اليه : همس الشياطين، عمى الدهر،  
أمواج السراب، تضرّ الذئب ،  
السنة النار، سويقاء المرق.

### ثالثا : أدوات التشبيه :

لم يستعمل الكاتب من أدوات التشبيه إلاّ الأدوات التالية :

- الكاف : واستعملها 144 مرّة + كما واستعملها 3 مرّات فقط.
- كائن : واستعملها 72 مرّة + كأنما واستعملها 8 مرات فقط.
- المفعول المطلق : واستعمله 10 مرات.
- المصدر كإداة : واستعمله 6 مرات.
- مثل : واستعملها 3 مرّات + كمثّل واستعملها مرّة واحدة.
- هيئة : واستعملها مرّتين فحسب.
- غياب الأداة : 31 مرّة.

أدوات التشبيه هي أدوات لفظية تربط بين طرفي التشبيه  
أي بين المشبه والمشبّه به، ومثلما أسلفنا قد تكون هذه الأدوات  
حروفا أو أفعالا أو أسماء، إلاّ أن المسعدي في روايته هذه لم  
يستعمل إلاّ الحروف أساسا والتي قدّرت بنسبة 81,65٪، ونسبة  
ضعيفة من الأسماء سواء كانت مشتقة أم لا لا تقدّر بـ 18,34٪،  
هذا بالإضافة إلى حذف الأداة أو إهمالها. وعليه فإننا نقف على  
ثلاثة استعمالات أساسية في ما يتعلق بالأداة : استعمال الكاف  
واستعمال كائن وغياب الأداة، هذا بالإضافة إلى استعمال  
الأسماء. وعليه يمكننا أن نفصل هذه الاستعمالات كما يلي :

- ما تعين فيه الأداة مهما كان نوعها.

- ما تغيب فيه الأداة.

في الصنف الأول سوف نجد أنفسنا إزاء ما يسمّى بالتشبيه

المرسل أو المجلد. المرسل هو ما تضمن وجه الشبه بالإضافة الى الأداة. والمجلد هو ما غاب فيه وجه الشبه. وفي الصنف الثاني سوف نجد أنفسنا إزاء ما يسمى بالتشبيه المؤكد أو البليغ، المؤكد هو ما لم يتضمن الأداة ولكنه يتضمن وجه الشبه. والبليغ هو ما لم يتضمن لا الأداة ولا وجه الشبه.

### (1) الكاف :

تخضع بنية هذه التشابيه التي وردت فيها الكاف أداة إلى التركيب الشائع في الأدب العربي :

المشبه + الأداة + المشبه به + وجه الشبه

إنّ هذا التركيب الذي يتضمن هذه العناصر جميعها هو ما يعرف بالتشبيه المرسل وهو أبسط أشكال التشبيه وأكثرها رواجاً، إلا أنّ المسعدي في هذه التشابيه لم يستعمل المرسل أو التام ولكنه استعمل ما يسمى بالتشبيه المجلد وهو ما حذف منه وجه الشبه. وعليه فالكاتب أهمل وجه الشبه إهمالاً تاماً أو يكاد إذ هو ضمنى يمكن أن نقنأ به دون أن يقع التصريح به. والصورة في طرفي التشبيه تغنينا حقيقة عن وجه الشبه لما تتمتع به هذه الصورة من إحياء ووضوح وتجلي.

وإن كان التشبيه البليغ أبلغ من التشبيه المؤكد فالتشبيه المجلد أبلغ من التشبيه المرسل الصريح. على هذا الأساس تصبح تراكيب هذه التشابيه المتعلقة بالكاف أداة تتمتع بالبناء التالي :

المشبه + الأداة + المشبه به

التزام الكاتب في كل الحالات هذا الترتيب من دون أن يغير من بنيته لا التقديم ولا بالتأخير اللهم حذف المشبه في حالات مما يعطي البنية التالية :

✓ الأداة + المشبه به

في ما يتعلق بطبيعة طرفي التشبيه (أي المشبه والمشبه به) من حيث الأفراد والتركيب ومن حيث الوظيفة فإنها وردت كالاتي :

## 1 - المشبه :

- اسم ظاهر : المشرق كلهيب النار ص 51
- اسم مقدّر : أجد منه / كمس لطيف النهود ص 51
- ثم قال وقد نزل به من الفرخ / كنوبة الحمى ص 225
- ضمير : فهي كالدابة الأكل ص 98
- هو كالبحر الساجي ص 193
- أنا كالصخرة الهاوية ص 102
- مركّب بالحال : إحدى رجلها مرسله كالرمح المصوّب في الهواء ص 53
- مركّب بالنعت : صوفة مضرجة كجلد السليخة ص 180.
- تركيب اسنادي فعلي : فيتساق على القعر كالشعبان ص 203.
- تركيب اسنادي اسمي : والكلب بين أيدينا كخفق السراب ص 140.
- دخول النواسخ : وكانت نفسه تعوي كالذئب ص 183.
- إنهم خليط كسويقاء المرق ص 185.

## ملاحظات :

من خلال هذا يمكننا أن نلاحظ أن في الحالات التي يرد فيها المشبه تركيباً إسنادياً فهو لا يعبر عن شيء أو يشبه شيئاً بشيء ولكنه يعبر عن حالة أو هيئة مما يجعل التشبيه عند المسعدي ليس غاية فنية في حد ذاتها ولكنه طريقة فنية وأسلوب واع، به أو عن طريقه يلج إلى الذات.

ب - المشبه به :

مثلاً هو الحال بالنسبة للمشبّه فإن المشبه به في مثل هذه التراكيب التشبيهية يرد على النحو التالي :

1 - لفظ مفرد :

- اسم ظاهر : حتى ينفذ كالذلو ص 62-63

- اسم مشتق : وكان إذا أراد الطعام تطهر له كتطهره للإحرام ص 66.

وكان كالذاهب البال ص 181.

أو كالمستعد إلى الرحيل ص 197.

فكان لا يأتييني إلا كالمرغم الكاره ص 182.

- اسم موصول : فإذا هي تتعلم كمن أصابته حمى ص 81.

2 - تركيب جزئي :

- مركب بالاضافة : وبقينا كبغل الطمان ص 142.

- مركب بالاضافة مع متممات : فكأنني ينهديها قد قاما واضطربا كرمال الكتبان نشأة الريح ص 3

- مركب بالنعته : وكان الهواء كدمعة عذراء ص 96.

لسانه كالقصبه في الريح ص 63.

3 - تركيب اسنادي : حتى رأيتهم كالساقيات تنفضهن الرياح ص 81.

فلا تجعل نفسك كالجبل يدعو الصاعقة ص 119.

(2) كأن :

استعمالات كأن في مقارنتها بالكاف جاءت بما يعادل النصف تقريبا كأن بالنسبة للبلاغيين هي الأداة «كاف»

مع « أن » التي تفيد التأكيد، فقولنا :

دموعه كقطر الندى على خده

يمكن أن تصبح :

كأنّ دموعه قطر الندى على خده.

وعليه فإننا نلاحظ أنّ «كأنّ» قد تصدرت الكلام ممّا يغيّر الترتيب السابق لعناصر التشبيه ويصبح التركيب على النحو التالي :

الأداة + المشبه + المشبه به + وجه الشبه.

ما هو حفظ هذا الترتيب بالنسبة للتشبيه التي وردت فيها «كأنّ» في أثر المسعدي ؟

فيما يتعلق بطبيعة طرفي التشبيه ووظائفهما فإنه بالامكان أن نقف على ما يلي :

1 - المشبه :

يرد المشبه في هذا النوع من التشبيه وفي غالبية الأحيان :

أ - ضميراً متصلاً : كأنها الطيبة أحسّت بالنبل ص 52.

كانه الذكرى تتجمع في أعماق النفس ص 78.

ب - لفظاً مفرداً : وكان الرجل لم يرني ص 138.

ج - اسم علم : كأنّ أبا هريرة قد لبسني ص 183.

د - اسماً مقدراً : كأنّ في عينيها نارا ص 61.

بمعنى : شيء في عينيها كأنه نار أو كالنار.

هـ - مركباً بالإضافة : كأنّ لسانه قطعة من نار ص 140.

2 - المشبه به :

فيما يتعلق بالمشبه به فإنه يرد :

- لفظا مفردا سواء كان مشتقا أو غير مشتق :

كأن قرب الغناء خلاق ص 91.

إذ أشرفت على قافلة كأنها شعبان ص 137.

- تركيبا جزئيا :

- مركبا بالنعته : لينة عذبة كأنها مسّ خفيف ص 50-51.

- مركبا بالجرّ : فيخفّ اللحم والدم فكأنني في الخلد ص 91.

- مركبا بالإضافة : وتهيجّ الكون حتى كأنه جهنّم الشياطين ولا نار.

- تركيبا إسناديا :

- تركيبا فعليا : كأنّ الريح تحطه وتعليه ص 78.

- تركيبا اسميا : فكأنني البنيان ينفي أحجاره ورخامه ص 103

فكان العزم ثوب شتافا لا يجتمع لي ص 201.

من خلال كل هذا يمكن أن نصل إلى الملاحظات التالية :

في مثل هذه التشابيه لا يرد وجه الشبه صريحا ولكن قد نجد له تلميحا في بداية الكلام (خطاهما لينة عذبة ص 50-51) أو قد توحي به الصورة اللازمة للشبه أو المشبه به (ثمّ تتراجع ... كأنها الغصن يهزه .. ص 52) وبالتالي لو قبلنا بوجود وجه الشبه ولو بطريقة إيحائية على التركيبين التاليين :

الأداة + المشبه + المشبه به + وجه الشبه.

أو وجه الشبه + الأداة + المشبه + المشبه به.

وعليه ما يمكن ملاحظته في مثل هذه التراكييب أن طرفي التشبيه لا يغيران من أماكنهما أبدا، والتغيير الوحيد الحاصل يتعلق بوجه الشبه إن وجد، فهو إما أن يحتل الصدارة ويسبق



الأداة أو أن يكون في الآخر. وفي كل الحالات هو ليس صريحا ولكن يلمح إليه تلميحا من خلال الأسلوب نفسه.

كلّ هذا يجعلنا نستخلص أن نوع هذه التشابيه التي وردت فيها « كَأَنَّ » أداة هي تشابيه ليست مرسلة أو تامة في غالبيتها ولكنها مع النوع المجمل الذي يغيب فيه وجه الشبه وذلك مثلما هو الحال بالنسبة للتشابيه السابقة التي وردت فيها « الكاف » أداة.

مثلما يمكن ملاحظته بالنسبة للمشبّه لَمَّا يكون مقدّرا يمكن للمشبّه به أيضا أن يكون مقدّرا عندما يرد على شاكلة تركيب إسنادي فرعي ممّا يجعل هذا التشبيه أقرب إلى التشبيه الضمني منه إلى التشبيه الصريح بالرغم من وجود الأداة « كَأَنَّ »: كَأَنِّي بِنَهْدِيهَا قَدْ قَامَا وَاضْطَرَبَا ص 63.

قد ترد « كَأَنَّمَا » في مكان كَأَنَّ + ضمير فيكون المشبه ضميرا مستترا يسبق الأداة والمشبّه به تركيبا إسناديا فرعيا : يَصْلِي فَكَأَنَّمَا يَلْهُو وَيَدْعُو فَكَأَنَّمَا يَغْتِي ص 193.  
<http://Archivebe65.Scribd.com>  
تقول فَكَأَنَّمَا تَبْكِي ص 65

### (3) حذف الأداة :

بحذف الأداة من تركيب التشبيه نحصل على نوعين من التشبيه وهما التشبيه المؤكد وهو الذي يتضمن بالإضافة إلى طرفي التشبيه وجه الشبه، أو التشبيه البليغ وهو الذي حذف منه في الآن نفسه الأداة ووجه الشبه معا.

ومثلما هو الحال بالنسبة لأنواع التشبيه التي تعرضنا لها آنفا فالمسعودي لا يأبه كثيرا بوجه الشبه حتى مع حذف الأداة ولا يتعرض له مطلقا أو يكاد.

كما تدلّ عليه تسميته، التشبيه البليغ بالنسبة للبلاغيين هو أبلغ من التشبيه المؤكد، لأنّ التشبيه كلّما دقّ وخفي كان

أبلغ». هذا مما يجعل التشبيه الضمني أبلغ من التشبيه الصريح والإستعارة أبلغ من التشبيه.

في ما يتعلق بتبني هذا النوع من التشبيه وفي ما يتعلق بوظيفة عناصره فإنه بالإمكان أن نتعرض إلى ما يأتي :

في ما يتعلق بتركيب هذا النوع من التشبيه وشكله فهو يقتصر أساسا على طرفي التشبيه أي المشبه والمشبه به، مع المحافظة على الترتيب التنالي من دون تقديم ولا تأخير :

المشبه + المشبه به

أما في ما يتعلق بهذين العنصرين من حيث طبيعتهما ووظيفتهما فبالإمكان أن نلاحظ :

1 - المشبه : لا يرد المشبه في كل الحالات إلا :

- لفظا مفردا، فأرى النار ذكرا به لوعة الهادي ص 81.

- ضميرا منفصلا : فهي رقيق الرمل يجري بين الأصابع ص 52.

- ضميرا متصلا : أنظر إلى السماء فأراها نورا والأرض فأراها ماء ونفسي فأراها شعاعا ص 185.

- ضميرا مستترا : وقالت، كن زهرة وغني ص 55-56.

2 - المشبه به :

لم نقف في مثل هذه المشبهات بها إلا على مكان لفظا مفردا أو لفظا مفردا مع بعض المتممات كالنعت أو الحال باستثناء حالة واحدة يرد المشبه به فيها مركبا إضافيا.

- لفظ مفردا : أنا طائر أو صخر أو صاحب في السماء ص 185.

- لفظ مفرد + نعت : فأرى النار ذكرا به لوعة الهادي ص 81.

- مركب بالإضافة + حال : فهي رقيق الرمل يجري بين الأصابع ص 52.

أما في ما يتعلق بالوظيفة فلم يرد هذا المشبه به إلا خبراً أو خبر كان أو إحدى أخواتها أو مفعولاً به ثانياً.

واحتدّ على حمى الشمس فالسما حديد ص 138.

حتى رأيتها أصبحت ذوباً في الهواء ص 53.

حتى جعلته نورا في ظلامها ص 85.

#### (4) صور أخرى من التشابيه :

بقية التشابيه المستعملة في حديث أبو هريرة قال... غير التشابيه الواردة أنفاً هي تشابيه تواترها ورد ضعيفاً يقدّر بـ 31 مرة. ويمكن تقسيمها إلى نوعين اثنين :

أ - ما ذكرت فيه أداة بخلاف الكاف وكان

ب - ما لم تذكر فيه الأداة وعوّضت بلفظ آخر.

في ما يتعلق بالشواخ الأول لم يستعمل الكاتب في هذا الصدد إلا الأسماء ولم يستعمل البتة الأفعال. ومن الأسماء لم يستعمل إلا «هيئة» و «مثل».

- لفظة «هيئة» : لم ترد إلا مرتين في التشابيه كلّها وترد على شاكلة تركيب جزئي (مضاف ومضاف إليه) مسبوق بحرف جرّ (في).

ويدها مقرونتان في هيئة المقبل على البحر ص 54.

- لفظة «مثل» : مثلما هو الحال بالنسبة للفظ «هيئة» استعملت لفظة «مثل» في الغالب مسبقة بحرف جرّ (في، الباء، الكاف). باستثناء حالة واحدة استعملت فيها «مثل» وحدها. كما استعملت في كلّ الحالات متبوعة بتركيب جزئي (إمّا بالإضافة أو بالنعت).

كنّا في شدّة السنة في مقتل لهاث الكلب ص 142.

حتى همست ريح بمثل نجوى الإنسان ص 132.

وكان في عينيه كممثل نور النبي يوحى له ص 212.

ومن الجدير بالملاحظة أن في مثل هذه التشابيه يمكن أن  
نقف على التراكيب ذات البنية التالية :

مشبه + أداة + مشبه به.

ومثلما هو الحال بالنسبة لبقية التشابيه عامة التي  
تعرّضنا لها أنفا يهمل الكاتب إهمالا كاملا وجه الشبه كعنصر من  
عناصر التشبيه، وإنما يجيء موحيا به ندركه إدراكا غير مباشر،  
كما أن هذا الترتيب لا يخضع إلى أي تغيير في عناصره إلا أنه  
يمكن تأويل المشبه بمشبه مقدّر مما يجعلنا في الحقيقة أمام تركيب  
جديد يكون على النحو التالي :

أداة + مشبه به

يقتصر فيه الكاتب على الأداة وعلى المشبه. ففي المثال  
السابق مثلا : « حتى همست ريح بمثل نجوى الإنسان » ص 132.

يمكن أن نوّزّلها التأويل التالي :

حتى همست ريح بمشيء مثل نجوى الإنسان  
أو بشيء كنجوى الإنسان.

أمّا ما عوّضت فيه الزيادة بلفظ آخر فيشتمل في  
الاستعمالين التاليين : استعمال مصدر مبين للنوع أو استعمال  
المفعول المطلق. بالقياس إلى المفعول المطلق الذي لم يستعمل إلا  
10 مرّات لم يستعمل المصدر إلا في حالات معدودة (6 مرات).

في ما يتعلق بهذا اللون من التشابيه سواء كانت بالمصدر  
أو بالمفعول المطلق فهي تشابيه « لا يوضع فيها المشبه والمشبه به  
في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب،  
وهو ما يعرف بالتشبيه الضمني، وهو ما يحتاج إلى تأويل لفهمه.

وفي كلتا الحالتين يكون كلٌّ من المفعول المطلق والمصدر قائما على الإضافة وقد يسبق المركب الإضافي بحرف جرّ.

وقامت قيام النائمة لدغت ص 82.

ثمّ أنشأ يجيل بصره في حيرة الفاقد صاحبه ص 130.

استخلاصات عامة :

أنواع التشابيه التي استعملها الكاتب في حدّث أبو هريرة قال ... هي :

- التشابيه التي وردت فيها الزيادة صريحة كالكاف وكان أو مثل.

- التشابيه الخالية من الزداة.

- التشابيه التي وردت فيها الزداة، ولكنها خلت من وجه الشبه وهو ما يعرف بالتشبيه المجمل.

- التشابيه التي خلت من الأداة وخلت في الآن نفسه من وجه الشبه وهو ما يعرف بالتشبيه البليغ.

<http://ArchiveBeta.Sakhr.it.com>

- الاستغناء في كلّ الحالات تقريبا عن وجه الشبه طالما أنه بالامكان إدراكه عن طريق الإيحاء أو التأويل.

- الاستغناء في حالات كثيرة عن المشبه كطرف أساسي من طرفي التشبيه طالما أنه مقدّر أو مؤوّل تأويل تقدير، وعليه فإنّ بنية التشبيه الأصلية :

مشبه + أداة + مشبه به + وجه الشبه

نراها تختزل اختزالا شديدا لتتشكل أحيانا في عنصر وحيد هو المشبه به.

وبناء على هذا هل من استخلاصات فيما يتعلق بدلالات هذه الاستعمالات لأنواع التشابيه هذه ؟

من خلال كل ما سبق يمكننا أن نسوق الملاحظات التالية :

- إن تواتر التشبيه كاسلوب بياني وبلاغي في حديث أبو هريرة قال تواتر ملحوظ ومهم وله أهميته إذ بلغ تشبيههما في كل صفحة من صفحات الكتاب.

\* هذا التشبيه لم يلتزم صورة واحدة أو تركيباً وترتيباً واحداً. وفي الصورة التي التزمها جاء التشبيه في أرقى صورهِ البلاغية، مما يدل على أن التشبيه عند الكاتب ليس غاية في حد ذاته ولا جمالية من جماليات النص ولكنّه وسيلة وأداة تعبيرية يجيء بها الكاتب ليُشيد بها معمار روايته تشبيداً فنياً رائعاً.

\* التشبيه في حديث أبو هريرة قال ... مكمل للوصف يحيلنا على الخارج كما يطلعنا على الداخل (داخل الذات) ممّا يجعله خلواً من كل تكلف.

\* التشبيه عند المسعدي أسلوب أو أداة فنية تتطافر مع أدوات فنية أخرى في الكتابة عنده تظل بحاجة إلى دراسة وإلمام.

\* كل هذا في خاتمة المطاف يحيلنا على مدى الترابط القائم بين الشكل والمضمون في كتابة المسعدي بالرغم من وقوفنا على الشكل وحده في مثل هذه الدراسة، إذ لا فصل بينهما وما فصلنا الشكل عن المضمون إلاّ لغايات منهجية بحثاً أملتها علينا ضرورة البحث.

عبد الحميد عبد الواحد

### قائمة المصادر والمراجع :

- أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة. البيان والمعاني والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط 2 - 1986.
- ابن رشيق : العمدة، ط 4 ، دار الجيل القاهرة - 1972.
- سراج الدين بن يوسف السكاكي : مفتاح العلوم، القاهرة - 1937.
- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، تحقيق هلموت ريتز، ط 3، دار المسيرة، بيروت - 1983.
- غازي يموت : علم أساليب البيان، دار الأصاله بيروت ، لبنان - 1983.
- محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس - 1981.
- محمود المسعدي : حدث أبو هريرة قال...، دار الجنوب للنشر، تونس - 1979.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## قائمة مكتب المعروض

### منشورات قصص

- (1) احاديث النسيان (يحيى محمد)
- (2) الوجه الآخر للحكاية (ابراهيم بن مراد)
- (3) النفق (رضوان الكوني)
- (4) لا .. حتى النهاية (محمد الخموسي الحناشي)
- (5) الكراسي المقلوبة (رضوان الكوني)
- (6) فارس الظلام (يوسف عبد العاطي)
- (7) الرماد (محمد العريبي)
- (8) احلام بحار متعب (ابراهيم الاسود)
- (9) لماذا تموت العصفير (ريم العيساوي)
- (10) الصمت والمرايا (نور الدين بن بلقاسم)
- (11) جمجمة فارغة (حمودة الشريف كريم)
- (12) حالة اضطراب (خديجة الجويني)
- (13) عطاء حتى الموت (محمد الخموسي الحناشي)
- (14) وبعد ... (يوسف عبد العاطي)
- (15) احاديث النسيان / ط. 2 (يحيى محمد)

### منشورات الصفاء .. المتولدة عن نادي القصة

- (1) طريق المعصرة (محمد العروسي المطوي)
- (2) الجسد والعصا (محمد الهادي بن صالح)
- (3) دائرة الاختناق (عمر بن سالم)
- (4) اعمدة من دخان (نافلة ذهب)
- (5) الشمس الاسمنت (نافلة ذهب)
- (6) الحركة وانتكاس الشمس (محمد الهادي بن صالح)
- (7) زمن الفئران الميكانيكية (احمد ممو)
- (8) التوحيد (محمد الحبيب حمادي)
- (9) درب العودة (محمد الخموسي الحناشي)